وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي :.....
رقم التسجيل : م أ ع 2014/332

نــزعــة التفــاؤل والتشاؤم فــي ديــوان إيــليا أبـــو مــاضـــي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب عربي حديث

إعداد الطالبة:
- نبيلة هرموش

إشراف الدكتور:
-واسيني بن عبد الله

تاريخ المناقشة: 10 ماي 2016

لجنة المناقشة:

1-فتح الله بن عبد الله .....رئيساً
2-واسيني بن عبد الله .....مشرفاً
3-عليوي عمر.....مناقشاً

السنة الجامعية: 2015/ 2016م - 1436/1437هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله نستعينه ونحمده ونشكره على فضله علينا والذي لولا عونه لنا

وتوفيقه لما استطعنا إنجاز هذا العمل المتواضع والذي نرجو أن يكلّل بالنجاح

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ " واسيني بن عبد الله " لإشرافه على إنجاز هذا العمل وتعاونه الصادق وسعة صدره وصبره علينا وعلى كل توجيهاته لنا التي كانت لها الأثر البالغ فيما وصلنا إليه

نسأل الله الكريم أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

فجزاه الله عنا خير الجزاء.

إلى كل من ساهم في المساعدة لإتمام هذا العمل المتواضع بنصيحة أو بكلمة طيبة أو الدعاء لنا بالتوفيق من قريب أو بعيد من أساتذة وطلبة.

ونخص بالذكر شقيقاتي وردة، حنان، فايزة، عزيزة

و زميلاتي زهوة لخنش و حنان جريدة و شفية صولي و سعيدة بن ميرة و سارة عيسات

وإلى كل من يرفع راية العلم شكرنا وتقديرنا ومحبتنا الخالصة.

أدعوا الله أن يجازيهم الجزاء الأوفى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذة أعضاء لجنة المناقشة على رحابة صدرهم وقبولهم تشريفهم لنا بمناقشة هذا العمل المتواضع.

نبيلة

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد، فإن عظمة الفنون العربية هي جزء من عظمة التاريخ العربي والحضارة العربية، وهي بطاقة عبور صادقة إلى كل ما هو ساطع وناصع في سماء العربية، فقد شهد الأدب العربي نهضة عربية ميمونة ساهمت فيها عدّة مدارس أدبية.

ومن تلك المدارس المدرسة المهجرية التي كان إيليا أبو ماضي أشهر شعرائها، فقد لقي شعره ومازال يلقى حظا موفورا من إعجاب القرّاء، وعناية الباحثين بشعره الذي يصور الجانب الوجداني من تجربة الشاعر الذاتية.

لذلك جاءت دراسة ظاهرة التفاؤل والتشاؤم عند هذا الشاعر التي تهدف إلى إبراز هذا الجانب الإنساني وإعادة النظر فيه من منظور معاصر.

أما عن سبب اختياري لهذا البحث، فهو تعلّقي الشديد بشعر إيليا أبي ماضي الذي يعود إلى مرحلة الدراسة الثانوية؛ حيث اطلعتُ على بعض النماذج منه ووقَفت على ما اتصف به من روح التجديد وبما يفيض به من خصوبة الخيال.لذلك تكونت عندي رغبة البحث في السمة البارزة في ديوانه، فوجدت نزعة التفاؤل والتشاؤم تكاد تغلف معظم القصائد.

ومن هنا جاءت إشكالية هذه الدراسة والمتمثلة في هذين السؤالين:

- فيم تتمثل مظاهر التفاؤل والتشاؤم في الديوان؟
- كيف وظّف ظاهرتي التفاؤل والتشاؤم في شعره؟

أما الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة، فتمثلت في صعوبة الحصول على المصادر والمراجع التي عنيت بالأدب المهجري عامة، وبالشاعر إيليا أبي ماضي خاصة، كما أن موضوع التفاؤل والتشاؤم يعد موضوعا من صميم التفكير النفسي

والفلسفي، مما فرض عليّ حذرا شديدا عند توظيف هذه المذاهب في إجلاء هذه النزعة أو تلك .

أما عن المنهج الذي اتبعته خلال دراستي هذه، فهو منهج التحليل النفسي مع الاستعانة بالإجراء التاريخي.

وقد جاءت خطة هذه الدراسة في مقدمة وفصلين يسبقهما تمهيد، وخاتمة، فجاء المدخل بعنوان إيليا أبو ماضي الشاعر المهجري وقد قسّمته إلى قسمين فكان القسم الأول عن الشعر المهجري، وتناولت فيه ماهية الأدب المهجري ثم تكلمت عن أهم مدارسه، وخصائصه، وكان القسم الثاني عن ترجمة عامة لحياة الشاعر.

أما الفصل الأول فجاء بعنوان التفاؤل والتشاؤم في الأدب العربي وقسمته إلى ثلاثة أقسام: تناولت في القسم الأول تعريف كل من التفاؤل والتشاؤم، تعريفا لغويا و نفسيا وفلسفيا أما القسم الثاني فقد تناولت فيه عوامل التفاؤل و التشاؤم حيث قسمته إلى عوامل أولية و ثانوية وفي القسم الثالث تناولت مظاهر التفاؤل و التشاؤم في الشعر العربي الحديث حيث ركزت على مجموعة من شعرائه: نازك الملائكة، عبد الرحمان شكري، أبو القاسم الشابي، فوزي المعلوف.

وكان الفصل الثاني لدراسة التفاؤل والتشاؤم في ديوان إيليا أبي ماضي وقسمته إلى قسمين، تعرضت في القسم الأول لنزعة التفاؤل في الديوان، واستعرضت في القسم الثاني نزعة التشاؤم فيه.

وأعقبت هذه الفصول بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

ولقد اعتمدت في إعداد هذه الدراسة على مجموعة من المصادر المهجرية أذكر منها ديوان إيليا أبو ماضي، ديوان همس الجفون لميخائيل نعيمة.

واستعنت مجموعة من المراجع ذات الصلة بالأدب المهجري أذكر منها: أدب المهجر لعيسى الناعوري، ودراسات في الشعر العربي المعاصر لشوقي ضيف، ودراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه لمحمد عبد المنعم خفاجي.

وآخرناً وليس أخير أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في عملي هذا والذي أطمح أن يكون إضافة مفيدة إلى الجهود و الدراسات العلمية السابقة.

كما لا يفوتني في الأخير أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف واسيني بن عبد الله الذي لم يبخل عليا بنصائحه وإرشاداته القيمة أثناء انجازي لهذا العمل وإلى لجنة المناقشة كما أوجه شكري الجزيل إلى كل من ساعدني وشجعني ووقف إلى جانبي.

مدخل

إيليا أبو ماضي الشاعر المهجري

مدخل: إيليا أبو ماضي الشاعر المهجري

لقد انتسب العديد من الكتّاب والشعراء لأدب المهجري، والذي اتسم بخصائص ومميزات اختلفت عن غيره من المدارس، ومن جملة الأدباء المشهورين والمنتسبين إليها إيليا أبو ماضي.

أولا: ترجمة موجزة للشاعر إيليا أبو ماضي:

يعد إيليا أبو ماضي أحد رواد الأدب العربي الحديث، حيث استطاع أن يكتب اسمه بأحرف من ذهب في تاريخ الأدب العربي، نظرا لإبداعاته المتميزة التي ضمنت له شهرة كبيرة في المهجر وفي العالم العربي على حد سواء.

1. مولده:

في قرية من قرى لبنان الجميلة النائمة في أحضان الجبل الأشم ،ولد الشاعر« إيليا ضاهر إيليا طانيوس أبو ماضي» سنة 1889 وقيل 1894، بقرية المحيدثية من قضاء متن بلبنان»[1].

وكانت مدرسة القرية "أول بيت علم دخله ونال من علمه ما استطاع نيله». [2] ولكن تلك الدروس البسيطة «لم ترو ضمأه الشديد إلى العلم والمعرفة، وهذا ما حذاه إلى أن يسير على قدميه مسافة ميلين كل يوم، وهو في التاسعة من عمره، ليسترق السمع من نافذة مدرسة كان يديرها العلامة الشيخ إبراهيم المنذر» [3].

ولما لاحظ صاحب المدرسة شدّة اهتمام أبي ماضي بالعلم والمعرفة، دعاه إلى دخول مدرسته والانضمام إلى صفوف طلابها دون أي مقابل.

---

[1]– إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبو ماضي، دار الهلال، بيروت، 2013، ص5.

[2]– حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الجيل، بيروت لبنان، ط2، 1983، ص5.

[3]– إيليا ابو ماضي: المصدر نفسه، ص5.

2. حياته:

لم يكد شاعرنا ينهي تعليمه الابتدائي حتى غادر إلى الإسكندرية، وهو لم يتعد إحدى عشرة سنة أي ما يوافق سنة 1901؛ حيث عمل بجد ونشاط في بيع السجائر ليؤمن حاجاته اليومية، كما انكبّ على دراسة الصرف والنحو ونظم الشعر.

وبعد أحد عشر عاما ترك مصر وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ،واستقر بمدينة سنساتي التي أمضى فيها أربع سنوات كاملة، ثم انتقل إلى نيويورك ليعمل محررا في جريدة "الفتاة " ثم "مرآة الغرب".

وفي عام 1920 انتسب إلى الرابطة القلمية التي أسسها جبران ورفاقه، حيث عرّب بعض الروايات الأجنبية التي نشرها في جريدة السمير، وكذلك تمكن من قراءة معظم دواوين الشعراء الغربيين والعرب .

عاد إيليا أبو ماضي إلى لبنان سنة 1948 ليمثل صحافة المهجر في مؤتمر منظمة اليونسكو مع حبيب مسعود صاحب مجلة "العصبة"، وفي تلك الرحلة قلّد أبو ماضي وسامي الاستحقاق والأرز في لبنان، ووسام الاستحقاق الممتاز في دمشق، ثم عاد إلى نيويورك حيث توقف القلب المتعب عن الخفقان في الرابع و العشرين من نوفمبر عام 1957.

3. دواوينه:

كان أول ديوان ألفه إيليا أبو ماضي هو "**تذكار الماضي**"، الذي طبعه في مصر سنة 1911. والمطّلع على هذا الديوان يلمس فيه تأثر صاحبه بأبي العلاء المعري وأبي نواس؛ حيث كان يهتم بانتقاء الألفاظ القوية و التعابير المتينة والمطالع الفخمة.

وبعد هجرة إيليا أبي ماضي إلى نيويورك، طبع ديوانه "**ديوان إيليا أبو ماضي الجزء الثاني**" وكان ذلك سنة 1918.و قد ضمنه قصائد وضع من خلالها قدمه على أوّل الطريق من التجديد الشعري والإبداع الفني حيث أصبحت القصيدة «**فلذة من كبد الشاعر لا رغوة من دماغه**» .[1]

[1]– ميخائيل نعيمة: سبعون، دار نوفل، بيروت لبنان، ط7، 1991، ص 156.

وفي سنة 1927 طبع الشاعر ديوانه الثالث الذي عنونه **بالجداول**، ويعتبر هذا الديوان أفضل ما كتب إيليا على الإطلاق، وما ميّزه "سلاسة الأسلوب ومسحه الحزن والنبرات الموسيقية الناعمة» [1].

وفي سنة 1940 أصدر شاعرنا ديوان "**الخمائل**" الذي اكتمل فيه نضجه الأدبي، حيث أصبحت القصيدة عنده صورة للحياة بكل نوازعها. وبعد ديوان الخمائل نظم الشاعر مجموعة من القصائد جمعت بعد وفاته في ديوان بعنوان "**تبر وتراب**"، فكان مسك الختام لإبداعات هذا الشاعر العظيم.

إن المطلع على دواوين إيليا أبو ماضي، سيدرك أنه يقف أمام شاعر عبقري بحق، استطاع أن يقفز قفزة نوعية ويطور شعره من مرحلة إلى أخرى إلى أن بلغ مرتبة النضج الفني.

4. مميزات شعره:

تميز شعر إيليا أبي ماضي بمجموعة من الخصائص التي ميّزته عن شعر غيره حتى من شعراء المهجر، وهذه الميزات هي التي كان لها الفضل في شهرة شعره ومنها:

أ/ الأسلوب القصصي:

إن المتأمل لشعر أبي ماضي يجد أن الأسلوب الغالب عليه هو الأسلوب القصصي؛ إذ لا يكاد يخلو ديوان من دواوينه منه، وهذا الثوب القصصي هو الذي كان له الأثر البالغ في تآلف وتناسق أبيات القصيدة ،إذ لم تأت صورها جزئية مفككة ،بل تمتد وتنمو لتكون في النهاية كلية مؤثرة يقول شاعرنا في قصيدة "الحجر الصغير"[2]:

سَمِعَ اللَّيل ذُو النُّجُـومِ أَنِيَـــــنا *** وَهوَ يَغْشَى المَدِينَةَ البَيْضَاءَ

فَانْحَنَى فَوْقَـهَا كَمَستـــــرِقِ الهَمـ *** س يَطِيلُ السُكُوتَ وَالإصْغَاءَ

فَرَأَى أَهْلَـهَا نِيَامَا كَأَهَـــــلْ الـ *** كَهْفِ لاَ جَلَبَة وَلَا ضَوْضَـاءَ

كانَ ذَاكَ الأَنِينُ مِنْ حُجْرٍ فِي السـ *** د يَشْكُو المَقَادِرَ العَمْيَـــاءَ

---

[1]– سلمى خضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة ،بيت النهضة، بيروت لبنان،ط2007،2،ص172.

[2]– إيليا بو ماضي: المصدر السابق، ص34، 35.

«فالحجر الصغير يعبر عن فلسفته الاجتماعية في المساواة بين الأفراد ،وفي هذه القصيدة يشخص أبو ماضي الجماد ويخلع عليها صفات الأحياء، ويبرز أسلوبه القصصي»[1].

ب / الصيغة الفلسفية:

إن قارئ دواوين إيليا أبي ماضي سيقف لا محالة على «الصيغة الفلسفية، الاجتماعية والروحية»[2] التي اصطبغ بها شعره ؛فهو إنسان يحب البشر ويحب الحياة، هذه الأخيرة التي يعتبرها نعمة على الإنسان إذا أحسن تقديرها ،وتعلم كيف يستمتع بكل لحظة فيها وكأنها آخر لحظة، ولتحقيق هذه الغاية ما على الإنسان إلا النظر إلى الجانب المشرق فيها، فالحياة ليست سعيدة أو حزينة في ذاتها إنما الإنسان هو الذي يضفي عليها هذه الصفة أو تلك . يقول إيليا:[3]

إِنَّ الحَيَاةَ قَصِيدَة أَعْمَـــــارُنَا *** أَبْيَاتُهَا، وَالمَوْتُ فِيهَا القَافِيَـــة

مَتِّعْ لِحَاظَكَ فِي النُّجُومِ وَحُسْنِهَا *** فَلَسْوفَ تَمْضِي وَالكَوَاكِبُ بَاقِيَةٌ

فإيليا أبو ماضي شاعر التأمل والتساؤل والطبيعة يختصر فلسفته الوجودية في مقولته الشهيرة "كن جميلا تر الوجود جميلا" التي أصبحت مذهبا للكثير منا اليوم.

ج/ شيوع السخرية:

لعل السخرية في شعر أبي ماضي ليست إلا دليلا على قلقل يشغل نفسه وشك يساور ذهنه، حيث دفعته الحياة بأسرارها وقوانينها ومفارقاتها إلى حيرة دائمة، يقول:[4]

قيلَ أَدرى النّاس بِالأَسْرَارِ سُكَانُ الصَوَامع

قُلْتُ إنْ صَحَ الذِي قَالُوا فَإِنّ السِرَ شَائِـعٌ

عجَبًا كَيْفَ تَرَى الشّمْسَ عُيُونٌ فِي البَرَاقِعُ

وَالتِي لَمْ تَتَبَرْقَـــــــعْ لاَ تَرَاهَـــــــا؟.

---

(1)– عباس بن يحيا: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة ،عين مليلة، دط، 2004، ص147.

(2)– شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر،دار الهدى،عين مليلة، دط، 2004، ص374.

(3)– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص606.

(4)– إيليا أبو ماضي: المصدر نفسه، ص95.

لست ادري!

د/المفاجأة والتشويق:

يعتمد إيليا أبو ماضي في طرحه لفكره من أفكاره على عنصر التشويق والمفاجأة، ويكفينا قراءة قصيدته "نشوة الحب" لنقف على مدى قدرة أبو ماضي على المفاجأة؛ حيث يتحدث فيها عن رجل وامرأة كانا في حفلة تنكرية أين وقع كل منهما في حب الآخر، وفي نشوة هذا الحب راح كل منهما يعبّر عن حبه للآخر، ليكتشفا بعد ذلك أنهما أب وابنته يقول في ذلك: [1]

طَارَتْ بِبُرْقِعِهَا وَبُر *** قُعِه عَلَى عَجَلِ يَدَاهَا

كِيمَا تَقَبّلَ ثَغْـــرَهُ *** وَيقْبَلُ الْمَعْشُوقُ فَاهَا

فَرَأَى المُتَيَمْ بِنْتَهُ *** وَرَأَتْ مَلِيحَتُنَا أَبَاهَـا

لقد اجتمعت هذه المميزات الفريدة من نوعها في شعر إيليا أبي ماضي، فألبسته حلة جميلة جعلت الواحد منا يتلهف لسماع قصيدة من قصائده ،التي كثيرا ما نشعر أنها كتبت عنا ولنا.

ثانيا. أدب المهجر:

في أواخر القرن التاسع عشر، أخذت جماعات من البلاد العربية، خصوصا سوريا ولبنان بالهجرة على شكل موجات متتالية. وكان بين هؤلاء المهاجرين مجموعة من الأدباء الذين أشأوا أدبا عربيا سمي بالأدب المهجري.

وسنتعرف عليه وعلى بعض خصائصه ومميزاته في ما يلي:

1/ ماهية الأدب المهجري:

هو أدب حديث النشأة كتبه الأدباء الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو يتميز بالتحرر من القيود القديمة و التجديد في الرؤيا و في اللغة لذلك عرف هذا الأدب انتشارا واسعا في الوطن العربي ، حيث أقبلت الصحف و المجلات على آثار أصحابه تنقلها و تعلق عليها .

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص، 567.

2/ أعلام الشعر المهجري:

من أهم أعلام الأدب المهجري: أمين الريحاني، جبران خليل جبران، إيليا أبو ماضي، فوزي المعلوف، فرحات عباس، الشاعر القروي، ميخائيل نعيمة، نسيب عريضة، سلمى صائغ ، ماري عطا الله...

وقد عبّر هؤلاء عن أفكارهم وأحلامهم وآمالهم بأدب عربي غاية في الجمال، كما أسّس بعضهم صحفا ناطقة باللغة العربية، وأنشأوا الجمعيات باسمهم وكوّنوا كذلك جمعيات أدبية عدّة.

أما عن المذهب الأدبي الذي تأثر به المهجريون في كتاباتهم إجمالا فهو المذهب الرومانسي والواقعي. ولقد عرف هذا الأدب انتشارا واسعا في الوطن العربي، إذ «منه ما يدرس اليوم في كثير من المدارس»[1]

3/ مدارسه: بدأ المهاجرون العرب في كل من المهجر الشمالي والجنوبي بتأسيس مدارس عربية لتعليم أولادهم ، كما أنشأوا جمعيات أدبية من أشهرها:

أ/-**الرابطة القلمية:** هي أشهر جمعية أدبية قادت موجة التجديد في الشعر العربي في المهجر، أنشئت في نيويورك سنة 1920 ومؤسسها هو الأديب المهجري عبد المسيح حدّاد، ولقد ضمت هذه الرابطة عشرة رجال هم: رشيد أيوب، ندرة حداد، جبران خليل جبران، وليم كاسفليس، وديع باخوط، إلياس عطاالله، أبو ماضي، نسيب عريضة عبد المسيح حداد وميخائيل نعيمة.وفي ما يخص مهمة الرابطة فقد حددت بنشر مؤلفات أدبائها وسواهم من كتاب العربية المستحقين لذلك، وكذا ترجمة المؤلفات البارزة من الآداب الأجنبية، وكتشجيع للأدباء قرّرت الرابطة أن تعطي جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة.

ولقد ظلت الرابطة الروح التي تحاول بكل قواها أن تحرر الأدب واللغة العربية من التقليد الأعمى للقدماء في المبنى والمعنى مدة إحدى عشرة سنة من سنة 1920 إلى سنة 1931م.

---

[1]- ميخائيل نعيمة: جبران خليل جبران، نوفل، بيروت لبنان، ط13، 2009، ص239.

ب/العصبة الأندلسية:

لقد عمل أدباء المهجر الجنوبي على إنشاء رابطة تقوم لهم مقام الرابطة القلمية في أمريكا الشمالية ، قام بتأسيسها ميشال المعلوف عام 1932، حيث تولى رئاستها الشاعر القروي ثم الشاعر شفيق المعلوف ومن أعلامها: إلياس فرحات وفوزي المعلوف وشكر الله الجر ورياض المعلوف.

وهي عبارة عن جمعية أدبية مكرسة للعناية بالأدب العربي في أمريكا الجنوبية، حيث «ساعدت في نشر عدد من الدّواوين بينها دواوين فرحات، وديوان القروي رشيد سليم الخوري، وعلى بساط الرايح لفوزي المعلوف»[1]. ونظرا للاهتمام الذي أولاه لها أصحابها، أصبحت العصبة الأندلسية «رابطة عظيمة الأهمية لأدباء العرب المهاجرين وأصبحت دارها ندوة لهم»[2]. ومن أبرز مميزات شعراء العصبة الأندلسية؛ تردد شعرائها بين المحافظة على القديم، والتجديد في طرائق الإبداع الشعري .

أما عن الفنون التي أبدع فيها هؤلاء الشعراء، فهي الشعر القومي الذي اشتهر به الشاعر القروي، كما ألفوا في الشعر الوجداني الذي أبدع فيه الشاعر إلياس فرحات، لكن على الرغم من كل هذه الإبداعات إلا أن العصبة الأندلسية لم تبلغ الشاو الذي بلغته الرابطة القلمية في مضمار التجديد.

3/ خصائص الشعر المهجري:

لقد مرّ الأدب العربي عامة والشعر خاصة بمراحل عديدة حددت معالمها ظروف العصر والبيئة، وباعتبار أن الشعر المهجري يمثل مرحلة من مراحل الشعر العربي، فلقد تميز هو الآخر بمجموعة من الخصائص التي ميزته عن الشعر العربي المعاصر له في الشرق.

---

[1]– سلمى خضراء الجيوسي: المرجع السابق، ص109.

[2]– عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط3، 1988، ص29.

ومن أبرز هذه الخصائص:

أ/-الثورة على القديم:

كان الأدب العربي قبل ظهور الأدب المهجري يسير على أنماط الأساليب القديمة، ثم ظهرت المدرسة المهجرية التي قامت بربط الأدب بالإبداع الذي هو تحطيم لذلك الالتزام بالقواعد والأطر، ومن ثم رفضوا التعريف القائل بأن الشعر هو الكلام الموزون المقفى، يقول إيليا أبو ماضي[1]:

لَسْتَ مِنِي إَنْ حَسبتْ الشِّعْرَ أَلْفاَظًا وَوَزْنًا

خَالَفَتْ دَرْبُكَ دَرْبِي، وَانْقَضَى مَا كَانَ مِنَا

فالشعر عند شعراء المهجر وجدان وعاطفة وتعبير عن رؤية، أما القالب (الوزن والقافية) فهو مجرد تابع يتحكم فيه مضمون القصيدة، لذلك نجد في هذا الشعر حرية التركيب وحرية استعمال الألفاظ في معان جديدة.

ب/النزعة الإنسانية:

في أشعار المهجريين دعوة إلى بناء مجتمع تسوده المثل العليا والمبادئ الإنسانية، من حب وخير وعدل وسلام، حيث يستمتع فيه كل إنسان بحياة سعيدة هانئة ،والمذهب الإنساني بوصفه مصطلحا فلسفيا «يعني إفادة الإنسان من ملكاته واستغلال مواهبه وقدراته في الحدود المشروعة ،ومعاونة المجتمع الذي يعايشه، وإضمار الخير للإنسانية جمعاء»[2]

يقول ميخائيل نعيمة في قصيدة بعنوان السباق:[3]

قُمْ بِنَا يَـــا أَخِـــــــي

فَالنّهَارَ مَا يَــزَالُ فَتِيَـــا

وَنَحْنُ مَا نَزَالُ فِي المِضْمَارِ

---

[1]- إيليا بو ماضي: المصدر السابق، ص126.

[2]- نظمي عبد البديع محمد: ادب المهجر بين اصالة الشرق و فكر الغرب، دار الفكر العربي، دط، دت، ص524.

[3]- ميخائيل نعيمة: همس الجفون، نوفل، بيروت لبنان، ط6، 2004، ص122.

وها هو جبران خليل جبران هو الآخر يؤكد أنه يحب الناس كافة، وأنه لن يستطيع أن يعيش لوحده لأنه لن يكون سعيدا ،حيث يقول:«أنت أخي وكلانا ابن روح واحدة قدوس كلي وأنت مماثلي»[1]

فغاية الشاعر المهجري «أن يرى الإنسانية كلها وقد ظللها الحب ورفرفت عليها السعادة»[2] .

ج/ الغربة:

لأن شعراء المهجر تركوا وراءهم ماضيهم وأهليهم وأوطانهم، وهاجروا إلى بلاد غريبة عنهم، فإن شعور الغربة والحنين إلى الوطن لم يكن ليبرح قلوبهم، هذه الغربة التي كانت في البداية غربة واقعية، عن الوطن والأهل والأصدقاء نمت وتطورت حتى استحالت غربة ما ورائية من غربة الروح في جسدها ومن غربتها في المادة .وهذا ما نجده في تجربة الشاعر فوزي المعلوف علي بساط الريح، التي همّ فيها أن يصعد إلى الفضاء، حيث توجد الحرية «فامتطى بساط الريح وقد ذعرت منه الطّير وتوجست خيفة وأنكرته النجوم وإذا هو يصيح بالنجمة[3] :

آه يَا نَجْمَتِي أَلَمْ تَعْرِفِينِي *** شَاعِرًا يَنْصِتُ الدُّجَى لِنُوَاحِه

وعلى العموم فإن هذا الشعور بالغربة هو الذي جعل الشاعر المهجري غارقا في الذاتية، «فغالبا ما نجد البطل الرومانسي دائرا داخل محيط ذاته المغلقة عليه، سواء أكان مطحونا تحت وطأة الحزن والكآبة والملل، أم ثائرا عنيفا ضد ركود المجتمع»[4].

د/ الحنين:

الحنين طبيعة أصلية في الإنسان إلى كل ما يشوقه مما يحيط به في بيئته من إنسان أو حيوان أو طير.»[5] ولذلك قيل: "أعطني غربة أعطك حنينا".

---

[1]–جبران خليل جبران: دمعة و ابتسامة، دار العرب، القاهرة، د ط، د س، ص135.

[2]– ميخائيل نعيمة: همس الجفون، المصدر السابق ، ص122.

[3]– إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط2، 1983، ص219.

[4]– نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، دار نوبار، القاهرة، ط1، 2003، ص314.

[5]– نظمي عبد البديع محمد: أدب المهجريين أصالة الشرق وفكر الغرب،دار الفكر العربي، دط، دت، ص543.

ورغم أن الشعراء المهجرين غادروا أوطانهم إلى بلاد غريبة، إلاّ أنهم أخذوا معهم حبها الذي سكن قلوبهم، فلم يستطع الواحد منهم إلاّ أن" يسطّر ما يحسه نحو وطنه من حب جارف وعاطفة متوهجة»[1].

يقول زكي قنصل في قصيدته المعنونة بـ"حنين إلى بردى" معبرا عن شوقه إلى رؤية هذا النهر، وشاكيا طول الغياب وقسوة الغربة فالغربة عنده معادل موضوعي للموت:[2].

حَنّتْ إِلَيْك الرُوحُ يَا بَرْدِى

هَلاّ مَددتَ إِلَى فتَاكَ يَدا

ولأن كل ما بقي للشعراء المهجريين من مواطنهم الأصلية هي ذكرياتهم خاصة ذكريات الطفولة، فإننا نجدهم يشتاقون إلى ذلك العهد ،ويصورونه أحسن تصوير يقول إياس فرحات متحدثا عن "الكسارة" مسقط رأسه: [3]

تُرْجِعُنِي الذِكْرَى إِلَى الكَسَارَةِ *** إِلَى مَقَرِ الحُبِ وَالطَهَـــارَةِ

إِلَى اجْتِمَاعي بِبَنَاتِ الحارَة *** نَلْعَبُ طَوْرًا بِالحَصَى وَتَارَةً

يُشْغِلنَنِي مَعَهُنَ بِالصنّارَةِ.

هـ/ الطبيعة:

لقد كانت ولا تزال وافرة العطاء للأدب ،بفضل ما تم من اندماج بينهما. فهي مجال رحيب للهروب من الواقع والعالم المصطنع الذي تمنع الانطلاق فيه العادات والتقاليد. «وأدباء المهجر كلهم من أخلص أبناء الطبيعة وعشاقها فهذا الشاعر إيليا أبو ماضي من شدة افتتانه بالطبيعة سمى **دواوينه:** الجداول والخمائل يقول في قصيدة المساء:[4]

السُحُبُ تَرْكُضُ فِي الفَضَاءِ الرّحْبِ رَكْضَ الخَائِفِينَ

وَالشّمْسُ تَبْدُو خَلْفَهَا صَفْرَاء عَاصِبَـة الجَبِـــــين

---

[1]– حسين علي محمد: الأدب العربي الحديث بين الرؤية والتشكيل، مكتبة الرشيد، ط6، 2006، ص120.

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجبل ط1 1992ج1ص330.

[3]– شوقي ضيف: مرجع سابق، ص259.

[4]– إيليا أبو ماضي: المصدر نفسه، ص548.

وَالَبحْرُ سَاجٍ صَامِتٍ فِيهِ خُشُوع الزَّاهِدِين

فالطبيعة في هذه المقطوعة «ليست عناصر خارجية توشح القصيدة وليست تقاطعات مع نصوص سابقة، بل إن الشاعر ينقل مشهد الغروب الذي رآه هو ولم يره غيره».[1]

والذي يطلع على إنتاج شعراء المهجر يرى أن للغاب حظا وافرا من هيامهم فهم يرون فيه مثالية سامية لما يمنحه من سعادة وحرية.

يتضح لنا من خلال هذه المميزات، أن شعراء المهجر قد لعبوا دورا أساسيا في النهضة الشعرية التي عرفها العالم العربي في مطلع القرن العشرين، بل إننا لن نبالغ اذا قلنا أنهم كانوا صانعي هذه النهضة وباعثيها، فقد كانوا مجددين حقيقيين نفضوا عن اللغة العربية غبار الماضي وحققوا للشعر العربي الانفتاح على التجارب الادبية الغربية.

[1]– عباس بن يحيا: المرجع السابق، ص102.

الفصل الأول

التفاؤل والتشاؤم في الأدب العربي

يؤثر التفاؤل والتشاؤم في تشكيل سلوك الفرد، وعلاقاته الاجتماعية وصحته النفسية والجسمية، فالمتفائل يتوقع الخير والسرور والنجاح، وينجح في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، وينظر إلى الحياة بمنظار ايجابي فيكون أكثر إشراقاً واستبشاراً بالمستقبل وبما حوله، ويتمتع بصحة نفسية وجسمية جيدة، بينما المتشائم يتوقع الشر واليأس والفشل وينظر إلى الحياة بمنظار سلبي.

أولا: مفهومهما .

لمعني التفاؤل والتشاؤم صلة بعقائد شعبية تركت أثرها في الأدب، فالعرب كانوا يسمون مظان المهالك بأضدادها تفاؤلاً بالنجاة، فمثلاً يسمون المهلكة مفازة، أي مكاناً للفوز، كما أنهم مشهورون بتشاؤمهم بنعيب الغراب، فهو شؤم بالبين، ولغاية اليوم هناك من يتشاءم بنعيبه.

1- التعريف اللغوي للتفاؤل والتشاؤم:

إن أصل التفاؤل في العربية التيمن، وهو ضد الطيرة، وهي ما يتشاءم به، أي يتوقع به السوء، ولهذين المعنيين صلة شعبية بما كانوا يسمونه السوانح والبوارح. فأصل البرح الشر والبارح من الصيد ما مر من يمين الصائد إلى يساره، وكانوا يتشاءمون به، وضده السوانح وهي من الصيد ما مرت من يسار الصائد إلى يمينه، وكانوا يتفاءلون بها.

أ/ التفاؤل:

التفاؤل من الفأْل: وهو كل قول أو فعل يستبشر به خيراً، وتسهل الهمزة فيقال: الفال، وتفاءل بالشيء: تيمن به.

نقل الأزهري في التهذيب قول "ابن السكيت" «الفأل: أن يكون الرجل مريضا فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول :يا واجد، فيقول:

تفاءلت بكذا، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه سيبرأ من مرضه، أو سيجد ضالته. ويقال: لا فأل عليك: لا ضير عليك. ويستعمل في الخير والشر.»[1]

وفي سنن ابن ماجه ومسند الإمام أحمد ابن حنبل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة. وفي رواية يحب الفال الحسن»[2] .

ب. التشاؤم:

التشاؤم: من باب شأم، وشأم الرجل قومه أي جر عليهم الشؤم، والشَّأْم: أرض، سُمِّيت به لأنها من مشأمة القِبلة. وشَأَمْتُ القوم: يَسَرتهم. والمَشْأَمةُ من الشُّؤْمْ، ويقال: رجلٌ مَشْؤوم، وقد شُئِمَ. وشَأَمَ فلانٌ أَصْحَابَهُ، إذا أصابهم شُؤْمٌ من قِبَلِهِ. ويقال: طائرُ أَشْأَمُ، وطَيْرٌ أَشْأَمَ. والجميع: الأشائم.. ويقال: جرت لهم طير الأشائم، أي: جرت بالشُّؤم"[3]

وفي هذا يقول زهير في تطير العرب تشاؤماً :

فَتَنْتُجُ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمُ كُلُهُم *** كَأَحْمَرِ عَادَ ثُمَ تَرْضَعُ فَتُفْطَمُ[4].

وقال الله عزوجل في قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم المبعوث إليهم، صالح عليه السلام: ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾[5] يقول

---

[1]–الأزهري: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1،دت، ص1849.

[2]– أنظر: سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تح :محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي/ مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،2001

[3]– الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، باب الشّين والميم و(و ا ي ء) معهما، ط1،دت، ج6، ص295.

[4]– الزمخشري: أساس البلاغة، تح: شوقي الحصري، عزيز نعيم، مكتبة لبنان، ط1، دت، ص857.

[5]– سورة النمل: الآية 47.

تعالى ذكره: قالت ثمود لرسولها صالح (اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أي: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب، فأجابهم صالح فقال لهم : (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أي: ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه, لا يدري أيّ ذلك كائن، أما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب؟[1]. وقيل: للشؤم طائر وطير وطيرة، لأن العرب كان من شأنها عيافة الطير، وزجرها، والتَّطيَّر ببارحها وبنعيق غربانها، وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها فسَمَّوا الشؤم طيراً وطائراً وطيرةً لتشاؤُمهم بها وبأفعالها فأعلم الله جل ثناؤه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طيرتهم بها باطلة وقال: لا طيرة ولا هامة.

ونقل الأزهري في التهذيب قول الليث: «يقال طار الطائر يطير طيرانا، قال: والتَّطايُرُ التَّفرق والذهاب، والطيرة اسم من اطَّيرتُ وتَطَيَّرت، ومثل الطِّيرة الخيرة».[2]

فالتشاؤم إذن هو النظرة السوداوية إلى الحياة، بحيث يصبح الفرد لا يستطيب الحياة ولا من فيها .

2- التعريف الفلسفي للتفاؤل والتشاؤم

لقد كان للتفاؤل والتشاؤم بروزهما الواضح في الفلسفة العالمية، وكان عصر التنوير الأوربي أول عصر شهد اهتماماً كبيراً بهذين المفهومين –التشاؤم والتفاؤل– وهي تتعلق بنسب السعادة والشقاء في العالم.

ا/. التفاؤل

إن التفاؤل عند الفلاسفة يعني أن العالم يغلب فيه الخير على الشر والسعادة على الشقاء، وهذا ما سنوضحه من خلال النقاط التالية:

---

[1]– أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.دط، دت، ص50.

[2]– محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور: المرجع السابق، ص1455.

- قديماً، مذهب ليبنتز **Leibniz** (1646-1716) القائل إن العالم الراهن هو أفضل وأسعد العوالم الممكنة. ومن ثم، يقال على كل رأي يرى أن العالمَ، في كليته وعلى الرغم من عالم الشر، هو عالم حسن، أفضل من العدم، وفيه السعادةُ تغلب التعاسة.
- التفاتة ذهنية تفضل النظر إلى الجانب الحسن من الأمور.
- موقف قوامه إغلاق العيون عمداً عن واقع شر ما، أو عن الشر عموماً، لإعفاء النفس من مكافحته.
- «حالة ذهنية لمن يتوقع أن يجري هذا الحدث كما يرام، أو ينجح هذا المشروع...»[1]

لتفسير التفاؤل فلسفياً من خلال ما ورد عرضه، يمكن القول بأنه الميل إلى الجانب المنير في كل الأمور، وأن هذا العالم الذي نحيا فيه هو أفضل من أي عالم آخر.

ب/. التشاؤم:

جرى استعماله أولاً عند **كولريدج** بالمعنى الموضوعي: "الحالة الأسوأ"؛ ثم استعمل نحو العام 1715 في الصحف والمجلات الإنكليزية، بمعنى قريب من أنه استعداد ذهني لرؤية الجانب الأسوأ من الأمور. أو حالة ذهن يتوقع (إما عموما وإما في حالة خاصة) أن تجري الأمور عما لا يُشتهى.

كما استعملت كلمة تشاؤم كاسم لمذهب سنة 1819 عند **شوبنهور**، ليجعل منها نقيضاً لكلمة التفاؤل التي كان يشار بها إلى مذهب ليبتز. وجاء تعريفها في مذاهب مختلفة كالتالي:

- مذهب يقول إن الشر يتغلب على الخير، بحيث يكون العدم أفضل من الوجود.
- مذهب يرى أن الألم في الحياة يذهب بالملذّة، أو حتى إنه هو وحده الحقيقة، إذ إنَّ الملذّة ليست سوى التوقف الآنيّ للألم.
- مذهب يذهب إلى أن «الطبيعة لا تُبالي بالخير ولا بالشر الأخلاقي، ولا تكترث

---

[1]- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2001،2 مج 1، ص915-916.

لسعادة المخلوقات أو تعاستهم»[1].

كل هذه المذاهب المذكورة تنظر إلى العالم نظرة تشاؤمية من خلال تفضيلهم للموت على الحياة، لأن هذه الحياة مليئة بالألم الذي يجعل كل فرد في منأى عن الآخر. وأن الألم هو الأصل واللذة عارضة.

3/ التعريف النفسي للتفاؤل والتشاؤم:

إن اهتمام علماء النفس بالسمات الشخصية للفرد وعواملها ومظاهرها كان بشكل أكبر في العصر الحديث، وهذه الدراسات قامت بعد رؤية سلوكيات غير سوية لبعض الشخصيات، واستعدادات الأفراد لهذه الحياة وتقبلها بجميلها وسيئها، وهذا ما جعل علماء النفس يسيلون الحبر الكثير ويفردون كتبا لهذا الموضوع، وهنا سنحاول التعرف على ما تناولوه من خلال ما يلي:

أ. التفاؤل

يعرف التفاؤل من منظور علم النفس بعدة تعريفات نذكر منها:

عرفه "**شاير، كارفار**" **(Scheier& Carver, 1987)** بأنه "استعداد يكمن داخل الفرد الواحد للتوقع العام لحدوث الأشياء الجيدة أو الإيجابية، أي توقع النتائج الإيجابية للأحداث القادمة. يعتقد كل من " **شاير وكارفار** «أن التفاؤل يحدد للناس الطريق لتحديد أهدافهم» [2] وهذا يعني أن التفاؤل يتعلق بكل فرد ونظرته الايجابية للحياة واستعداده للعيش بسعادة.

ويرى " **تايجر**" **(Tiger, 1979)** بأنه دافع بيولوجي يحافظ على بقاء الإنسان، ويعد الأساس الذي يتمكن بفضله الأشخاص من وضع الأحداث والالتزامات. فهو بهذا «الأفعال أو السلوكيات التي تجعل أفراد المجتمع يتغلبون على الصعوبات والمحن التي

---

[1]– أندريه لالاند: المرجع السابق، ص967–968.

[2]– بدر محمد الأنصاري: التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، ط1، 1998، ص14.

قد تواجههم في معيشتهم »[1]. هذا يعني أن التفاؤل في نظر تايجر هو دافع طبيعي لكي يحافظ الإنسان على حياة سعيدة هانئة.

كما عرفه " **كراندال** " **(Crandall , 1969)** بقوله: إن التفاؤل «عبارة عن التوقع قصير المدى بالنجاح في تحقيق بعض المطالب في المستقبل». وعرفه "**ستيبك**" **(Stipek, 1981)** بأنه: «التوقعات الذاتية الإيجابية عن المستقبل الشخصي للأفراد».[2]

ومنه التفاؤل هو سمة شخصية في الفرد وتوقعه لحدوث الأحداث السعيدة، واستشرافها مستقبلا.

ب. التشاؤم

يحدث التشاؤم كما عرفه "**شاورز**" **(Showers, 1992)**عندما يقوم الفرد بتركيز انتباهه وحصر اهتماماته على الاحتمالات السلبية للأحداث القادمة، وتخيل الجانب السلبي في النص أو (السيناريو)، كما أن هذا التشاؤم أو التوقع السلبي للأحداث قد «يحرك دوافع الأفراد أو أهدافهم وجهودهم لكي يمنعوا وقوعها، ويتسبب ذلك في التهيؤ والتأهب لمواجهة الأحداث السيئة المتوقعة». [3]

ويرى " **مارشال** " وأصحابه **(Marshall, et la. 1992)** أن التشاؤم "استعداد شخصي أو سمة كامنة داخل الفرد، تؤدي به إلى التوقع السلبي للأحداث. كما عرف التشاؤم أيضا بأنه: « نزعة لدى الأفراد للتوقع السلبي للأحداث المستقبلية»[4]

فالتشاؤم إذن هو النظرة السلبية والدونية للحياة وما فيها، وتوقع حدوث الأسوأ في كل الحالات سواء كان الحدث آني أو مستقبلي.

ثانيا: عواملهما

---

[1]– بدر محمد الأنصاري: المرجع السابق، ص14.

[2]– المرجع نفسه، ص15.

[3]– المرجع نفسه، ص15.

[4]– المرجع نفسه، ص16.

موضوع التفاؤل والتشاؤم له علاقة بطبيعة كل مجتمع وبطبيعة عاداته وتقاليده وان التفاؤل له علاقة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع حيث تؤثر هذه الظروف على السمات الشخصية للفرد، والشخصية بصفة عامة هي: «مجموع سمات الفرد كما تبدوا في عاداته الفكرية، وتعبيراته، واتجاهاته، واهتماماته، وأسلوبه في العمل وفلسفته في الحياة»[1]

وهناك مجموعة من العوامل الأولية والثانوية لها أثر كبير في التفاؤل والتشاؤم كما يلي:

1- العوامل الأولية وتتمثل في الآتي:

أ. الوراثة: وتنتقل إلى الفرد من والديه وأجداده عن طريق الموروثات والجينات، وتلعب الوراثة دوراً في تحديد الخصائص الجسمية للفرد، وفي تكوين الجهاز العصبي، والإنسان يرث الاستعدادات والخصائص الأولية للسلوك بشكل خاص.

ب. العوامل الحيوية: التوازن في إفرازات الغدد التي تجعل الإنسان سليماً نشطاً وتؤدي اضطرابات الغدد إلى الاضطراب النفسي.

ت. الجهاز العصبي: ويشرف على جميع الوظائف العضوية فإذا أصيب الجهاز العصبي بتلف يؤدي ذلك إلى اضطرابات ملحوظة في الشخصية.

ث. البيئة: وهي عامل مهم المقصود به «جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص منذ بدء نموه، وتتأثر خبرات الطفل البيئية بعدة عوامل: الأسرة، الأخوة والثقافة».[2] حيث تعتبر الأسرة هي البيئة الأولى التي ترعى البذرة الإنسانية بعد الولادة ومنها يكتسب الطفل الكثير من الخبرات والمعلومات والسلوكيات والمهارات والقدرات التي تؤثر في نموه النفسي إيجاباً أو سلبا، وهي التي تشكل أخلاقه في مراحلها الأولى. كما أن لموقع الفرد في الأسرة أهميته المؤثرة في تكوين الشخصية

---

[1]- عبد الله عبد الحي موسى: المدخل إلى علم النفس، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ط3، 1988، ص348.

[2]- محمد محمود: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، دار الشروق، جدة،دط،دت، ص214.

(الولد الأكبر– الولد الأصغر– الابن الوحيد بين البنات...) وكذلك أسلوب تربية الوالدين لها أثر كبير على شخصية الابن.

ومن بين الشخصيات الأدبية المشهورة التي تأثرت بهذه العوامل نجد الشاعر "**جبران خليل جبران**" هذا الشاعر الذي اكتوى بنار الألم والمعاناة من أقرب شخص إليه ألا وهو أبوه المتسلط الذي رأى فيه جبران كل معاني القسوة، لأن أبوه لم يفهم رغبته وميوله إلى الفن وتعلقه به فهو هو رفيق دربه وأنيسه في وحدته وحزنه، وهذا ما جعل شعره يحفل بالحزن والأسى حين يستحضر صورة أبيه، وقد عبر عن هذا في قصيدة " الجبار الرئبال " التي يقول فيها: [1]

فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ يَمْشِي مُبْطِئاً *** وَهُوَ مِثْلُ اللَّيلِ هَـــوْلاً قَدْ بَدَا
وَحْدَهُ يَمشِي كَأَنَّ الأَرضَ لَـ *** تبْرِ إَلاّهُ عظيـــــماً سَيّـــدا
وَيَدُوسُ التُرَابُ مَرْفُوعاً كما *** تلمس الأطلالَ أطرافُ السحابْ
فَكأَنّ الجِّسمَ فِي أَثوَابِـــهِ *** مِنْ شُعَاعٍ وَسدِيمٍ وَضَبَـــــابْ

في هذه الأبيات يرسم جبران صورة لأبيه، إذ؛ يرى بأنه يشبه هول الليل بجبروته وتسلطه وكأن الأرض لم تحمل غيره سيداً عظيماً، ويشبه ملامسته للتراب كملامسة الجبال لأطراف السحاب وهذا كله دليل على قوته، وكأنه هو الآمر الناهي ولا أحد يعترضه، ومن خلال هذه الصورة غير السارة للأب نجد أن الصبغة التشاؤمية طاغية على هذه الأبيات.

كما نجد الشاعر يستحضر صورة أبيه في قصيدة " أغنية الليل" التي يقول فيها:[2]

سَكَنَ اللَّيلُ، وَفِي ثَوْبِ السُّكُونِ *** تَخْتَبِي الأَحْلَام

[1]– جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة العربية، دار صادر، بيروت، ط1، 2002، ص360.
[2]–جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة العربية، المرجع السابق، ص358.

وَسَعَى البَدْرُ، ولِلْبَدْرِ عيُــونُ *** تَرْصُدُ الأَيَّـــام

فَتَعَالِي يَا ابْنَةَ الحَقْلِ، نَــزُورُ *** كَرْمَةَ العُشَّـــاقِ

عَلَنَا نُطْفِي بِذَيَاكَ العَصِـــيرِ *** حُرْقَةَ الأَشْــوَاقِ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن سكون الليل وكيف أن الأحلام تختبئ فيه، وكأنه يقول لنا أن أباه كان يشبه هذا الليل المعتم الذي تحتجب فيه الرؤية كما كان أبوه يلجم رغباته الفنية، فصورة الأب مقرونة دائماً عنده بالتشاؤم والحزن.

كما يظهر التشاؤم جلياً عند جبران فيما أصاب أسرته عندما كان في الغربة، إذ «قضى عليهم داء السل الواحد تلو الآخر، حيث تموت أخته بهذا الداء الخبيث، ويليها أخوه ثم أمه بنفس الداء»[1]، هذا ما جعله يكره الحياة وينظر إليها بسوداوية لأنها غير عادلة وحرمته من أعز ما يملك، وقد عبر عن هذا الألم في قصيدة " يا نفس" التي يقول فيها: [2]

يَا نَفْسُ لَوْلَا مَطْمَعِي *** بَالْخُلْدِ مَا كُنْتُ أَعِي

لَحْنًا تَغَنَّي الدُهُورَ

بَلْ كُنْتُ أُنَمِّي حَاضِرِي *** قَسْرًا فَيَغْدُو ظَاهِرِي

سِرًا تُوارِيهِ القُبُورُ

يَا نَفْسُ لَوْ لَمْ أَغْتَسِلْ *** بِالدَّمْعِ أَوْ لَمْ يَكْتَحِلْ

جَفْنِي بِأَشْبَاحِ السِّقَامِ

---

[1]– ثورت عكاشة: روائع جبران خليل جبران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1990 ، ص13.

[2]– جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة العربية، المرجع السابق، ص353.

لَعِشْت أَعْمَى وَعَلَى *** بَصِيرَتِي ظَفْرٌ، فَلَا

أَرَى سِوَى وَجْهَ الظَّلاَمِ

يصور الشاعر نفسية حزينة أثقلتها السقام وتوالت عليها الأحزان، إذ ينادي نفسه قائلاً لها لولا طمعه بالخلود ما كان وعى ما تخبئ الدهور، وأنه لو لم تدمع عيناه بالدموع لعاش أعمى لا يرى سوى الظلام والأحزان، وهذا ما جعله يدرك أن لا خلود في هذه الدنيا.

كما نعلم أن الأبوين هما منبع الحنان والعطف والرحمة، لكن جبران لم يكن له هذا في أبيه المتسلط – كما ذكرنا فيما سبق–، ولكن أمه قد عوضته عما فقده في أبيه حتى صار جبران متعلقا بأمه أشد تعلق، ولأنها فهمت طموحه وشجعته على المضي قدماً في فنه، حتى صار يرى وجه أمه في كل شيء أمامه؛ في صديقاته، وفي الطبيعة حيث يرى أن كل شيء في الطبيعة يتكلم عن الأمومة.

فجبران عندما يستحضر صورة أمه يكون فرحاً متأملاً في الحياة كل خير متفائلاً بها ، وهذا ما يظهر من خلال قصيدته " أيتّها الأرض" التي يقول فيها: [1]

مَا أَجْمَـــلَكِ أَيَتُّهَـــــا الأَرْضُ وَمَـــــــا أَبْهَـــاكِ

وَمَا أَتَّمَ إِمْتِثَالكِ لِلنُّورِ وَأَنْبَــــــلَ خُضُـــوعَكِ لِلشَّمْسِ

مَا أَطْرَفَكِ مُتَّشِحَة بِالظِّلِ وَمَا أَمْلَحَ وَجْهَكِ مُقَنَّعاً بِالدُّجَى

يشخص جبران صورة أمه إذ؛ يشبهها بالأرض لأن الأم مثل الأرض في العطاء والحب، ويصفا بأجمل عبارات الوصف، حيث يصفها بالجمال والبهاء والنور والكمال وملاحة الوجه المقنع بالدجى.

[1]–جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة العربية، المرجع السابق، ص358.

هذه الصورة تمثل تأثير العامل النفسي التي أثرت في جبران والمتمثلة في صورة الأب والأم والإخوة وما تركوه في نفسه من محبة وألم جعلته يبكي أو يضحك ويطرب للحياة أي يتفاءل أو يتشاءم.

2. العوامل الثانوية وتتلخص في التالي:

أ. أثبتت الدراسات التي أجراها العالم " **ويروس**" أن الانفعالات الحادة تأخر سرعة نمو الأطفال وأن القلق النفسي والضعف الشديد للمرأة ومدة الحمل يؤثران في الطفل.

ب. الأمراض التي تصيب الأطفال وتؤثر في نموهم الطبيعي، كذلك يتفاوت نمو الطفل تبعاً للسلالة القصرية التي ينتمي إليها الطفل.

ت. الهواء النفسي وأشعة الشمس[1]التي تساعد في رسم السمات الشخصية للفرد وتبين تصوره لهذا الوجود.

يختلف الأفراد في ميزاتهم الشخصية من فرد لآخر، فهناك عصبي المزاج وهادئه، والمتفائل والمتشائم، والمنطوي والمنبسط. ومن أقدم من حاول تقسيم الناس إلى أنماط الطبيب اليوناني "**هيوقراط** "، وله نظرية يقسم الناس فيها إلى أربعة أنماط، وهي:

- المزاج السوداوي: وهو الشخص الذي يغلب عليه المزاج السوداوي الحزين المكتئب.
- المزاج الدموي: وهو الشخص السهل الاستثارة في غير عمق أو اتساع.
- المزاج الصفراوي: الشخص شديد الانفعال مع تغلب الجانب الجدي وقلة السرور.
- المزاج البلغمي: «وهو المتبلد الشعور قليل الانفعال». [2]

---

[1]– محمد محمود: المرجع السابق، ص216.

[2]– عبد الله عبد الحي موسى: المرجع السابق، ص 268، 270.

وقد اختلف علماء النفس في تقسيماتهم لهذه الأنماط أو الفئات فإنهم يتفقون جميعاً حول أمر واحد، وهو أن كل فرد يمكن أن ينتمي إلى فئة من الفئات التي يقترحونها.

يذهب تصنيف "**هيبوقراط**" إلى القول بأن النمط الصفراوي متشائم، والدموي متفائل. كما يذهب "**آيزنك**" إلى القول بأن «النمط العصابي متشائم، والنمط الانبساطي متفائل».[1]

إن العوامل البيولوجية والبيئية والوراثية المحيطة بالإنسان كلها تعمل على التأثير في شخصيته، بحيث قد تكون هذه التأثيرات سلبية أو إيجابية متشائمة أو متفائلة.

ثالثا: مظاهر التفاؤل والتشاؤم في الشعر العربي الحديث:

تميز شعراء العصر الحديث بالخيال الخصيب الذي يرسم أحلاما مزهرة ملؤها السعادة، ولكنه يرسم في بعض الأحيان أحلاما سوداء تجعل صاحبها يخشى مصائب الحياة ويعيش في خوف منها حتى قبل وقوعها فعلا، كما أن العقل المتأمل الذي تميز به الشعراء ساهم هو الآخر في صبغ شعرهم بالتفاؤل أحيانا والتشاؤم أحيانا أخرى ذلك أنه كثيرا ما يصطدم بالواقع المرير، فينتج عن ذلك أحزان ومشاعر تتراوح بين السعادة و الألم.

فالإحساس المرهف يرفع الشاعر أحيانا إلى قمة السعادة، أو يهوي به أحيانا إلى قمة الشقاء، لذلك جاء شعرهم أحيانا مغرقا في التفاؤل وأحيانا مغرقا في التشاؤم.

1- مظاهر التفاؤل في الشعر العربي الحديث:

[1]- بدر محمد الأنصاري: المرجع السابق، ص20.

إن الحياة قصة جميلة لمن يعرف كيف يعيشها، وينظر إليها نظرة رضا ويقف متأملا نعمها الكثيرة كالحب، والوطن، والجمال، والخير...

كل هذه الأمور تزرع البسمة في قلوب الناس عامة، فما بالك بقلب شاعر حسّاس، كشاعر العصر الحديث الذي حاول بكل ما أوتي من قوة أن يتشرب ما في الحياة من سعادة إلى آخر رمق، لذلك جاء شعر هذا العصر عنوانا للتفاؤل وهذا ما نلمسه من خلال قراءتنا لدواوين شعر نازك الملائكة والشابي وغيرهم على النحو التالي:

أ- نازك الملائكة:

صاحبة القلب الرقيق والمشاعر المرهفة التي ضلت تبحث عن السعادة والأمل طول مشوار حياتها هذه السعادة التي يبدو أنها قد وجدتها أخيرا في الريف حيث تقول:[1]

أَتَرَاهَا هُنَـا؟ أَتـِلْكَ إِذَنْ أَسْـــ *** رَارُهَا تَمْـلَأُ المَشَاعِر أَمـــنا؟

أَتَرَانَا إِذَنْ وَصَلْنَـا أَخِيـــرًا *** ذَلِكَ الشَاطِئ الذِي نَتَمَنّـــى

إِنَّهُ الرِيفُ فَالحَيَـاةُ رَبِيـــع *** خَضل العِطْرِ بَارِد الأَنْـــدَاءِ

وَالمَرَاعِي النّشْوَى تُرَاقِصُهَا الْـرِ *** يَاحُ وَتَغْفُو عَلَى خُدُودِ الضِيَاءِ

وَالصَبَاحُ الوَضِيئ قَدْ ذَوَبَ الأَلْـ *** وَانَ وَالعِطْرِ فِي كُؤُوسِ الوُرُودِ

وَالفَرَاشَاتُ يُرْشِـــقْنَ وَيَثْملْ *** نَ مِنَ الوَهْجِ الرَحِيقِ البَـــرُودِ

وَفُرُوعُ النَّخِيلِ مَدّتْ عَلَى مَجْـ *** رَى السَوَاقِي ظِـلاَلَهَا السَمْـرَاء

سَكَبَتْ عِطْرُهَا وَخَدَرَتْ تالمَرَ *** جَ وَفَـتاضَتْ خُصُوبَة وَنَمـــاء

وَذِرَاعُ الضِيَاءِ يحْتَضِنُ الأَشْـ *** جَارَ وَالوَادِي النَضِيرِ الثُرَيـــا

وَوُرُودُ بِيض تَنَـــامْ عَلَى يَنْـ *** بُوعِ مَاء يَسِيلُ شَهَدًا نَقِيًـــا

---

[1]- نازك الملائكة : ديوان نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، دط ،1988، ص 432—433- 434.

كُلُ شَيءٍ فِي هَذِهِ الجَنّـــةِ العَذْ *** بَةِ يُوحِي بِأَنَنا قَدْ وَصـــلْنَا
أَنَ مَا فِي قُلُوبِنَا مِنْ هَوَى عَطْ *** شَانَ قَدْ نَالَ حُلْمَهُ المُتَمَنِـــي
إِنَّ هَذِي دِيَارُهَـــــا، هِي جَنّ *** ةُ حُلْمِي الخَافِي وَ سِرُ رَحِيلِي
هِيَ ذَاكَ اللُغْزُ المُحَّير شَوْق الـ *** أَمْسِ وَ الْيَوم وَ الغَدِ المَجْهُولِ
فَلْنَقُمْ هَا هُنَا عَرِيشُ أَمَــــانِيـ *** نَا مِنَ الوَرْدِ وَالشَذَى الرُوحِـي
وَلْنَذُقْ حِكْمَةَ النّخِيـــلِ وَنَقْبِس *** بَعْضَ أَسْرُارِ صَبْرِهِ الأَبَـــدِيّ

إن السعادة حسب نازك الملائكة لا تحسب بما يملك الإنسان من مال وقصور ومباني، إنما هي ببساطة تتجسد في جمال الريف الذي تكون صورة الحياة فيه ربيعا ورائحتها عطرا، وملمسها ندى، فسعادة **نازك** لا تكون إلاّ في المراعي؛ أين تراقص الرياح الورود وأوراق الأشجار، وتغرم الفراشات بالأزهار، فترشف رحيقها في وله.

إن نازك الملائكة تشعر بسعادة ما بعدها سعادة عندما تجلس على الأرض في مكان ظللته فروع النخيل، على مجرى السواقي؛ حيث ترى الورود البيضاء تنام على ينبوع من الماء يسيل كأنه الشهد ففي هذا المكان تكون السعادة قد عرفت طريقها إلى قلب نازك الملائكة.

ب- عبد الرحمان شكري:

هو واحد من الثلاثة "عباس محمود العقاد وعبد القادر المازني" الذين قاموا بتأسيس ما يعرف اليوم بجماعة الديوان التي وضعت حجر الأساس للنقد الشعري الحديث في مصر.

والمتصفح لديوان شكري يجد بأنه كان يتجنب الانغماس في اطر الحياة الخارجية حيث وجه تركيزه إلى العنصر الذاتي، فجاء شعره غنيا بالمشاعر والعواطف كعاطفة الأمل والسعادة التي نلمحها في قصيدة بعنوان *النغمات* التي يقول فيها: [1]

إِذَا تَرَنَمَ وَ الأَذَان ظَـامِئَـــــــة *** خلَنَا الرَّوِيّ عَلَى أَذَانِنَا انْدَفَقَـــا

لَجٌ مِنَ النَغَمَاتِ الغرّ يَحْمِلُهَـــا *** إِنَّ النُّفوسَ تُعَانِي بَيْنَهَا الغَرَقَـــا

لَوْ صُورَتْ فَأَقَامَتْ غَيْرَ خَافِيَـــة *** كَانَتْ أَجَل الذِي يَسْتَعبدُ الحَدَقَـــا

كَأَنَّ شَيئًـا مِنَ الحُبِ الذِي غُرِيتْ *** بِهِ الخَلِيقَةُ فِي أَثْنَائِهَا انْبَثَقَـــــا

إِذَا ابْتَدَأهَا عَظِيم فِي مَهَـــارَتِهِ *** حَسِبْت كُلَ ضَحِيح لَجَ فِي الخَرَس

تَظَلُ تَفْعَلُ بِالأَحْزَانِ مَا فَـــعَلَتْ *** أَشِعَةُ القَمَرِ الوَضَاحِ بِالغَـــــلَسِ

تَذُوبُ فِيهَا هُمُومُ النّفْسِ خَافِيَـــة *** كَمَا يَذُوبُ النّدَى فِي مَوْقِعِ النَـفْسِ

يَنْزُو الهِيَام بِقَلْبِي حِينَ اسْمَعُهَـا *** لَعِبَ الرِيَاحِ بِثَوْبِ البَائِسَ التَـــعِس

كَعَصْفِهَا حِينَ لَجَّتْ تَاوّبهـــــا *** كَلُجّةَ البَحْرِ تُطْفِي شُعْلَةَ الـــــقَبَسِ

تُثِير مِنْ نَزَعَاتِ القَلْبِ مَرْحَمَـــة *** ترد عَادِيَة المُسْتَأسِدْ الشَـــــــرِسِ

وتبعث الذّكر العهد الذي ضمنت *** فتودع القلب وجدا غير ملـــــتبس

كَأَنّهَا ذَاتَ حَوْل لَيْسَ يَعْجَزُهَـــا *** أَحْيَاء مُنْعَفِر فِي القَبـــــــرِ مُنْفَرِدْ

كَأَنَهَا شَاعِر جَادَتْ مُخَيِلَتَهُ الْـــ *** غَرَاء بِالكَلِم المَسْعُـــــود بِالـــسَدَد

لاَ شَيء مِنْ حُسْنِ الأَلْحَانِ يُفَضِلُهَا *** إِلاَ الخَرِيرَ وَ صَوْتَ الطَائِرَ الـــغَرد

وأنه النّسْمَة المِعْطَار جَاذَبَـــــــة *** جَيدْ الغُصُونِ بِحَبْلِ لَيْسَ مِنْ مَسَـــد

[1]– عبد الرحمان شكري: ديوان عبد الرحمان شكري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط، 2012، ص، 18–19.

إن الشاعر لتغمره سعادة كبيرة عندما يسمع نغمات يؤديها عازف عظيم في مهارته خاصة وأن أذانه قد ملت ضجيج المدينة و فوضاها.

هذه الموسيقى توقظ في نفس الشاعر الحب الذي أغرى البشرية، فيُذيب هموم نفسه كما يذوب الندى عند شروق الشمس، ويلعب الهيام بقلبه كما تلعب الرياح بالثوب الرقيق وحينها تتكشف نزعات القلب حبا و شوقا ورحمة فيستحضر ذكريات الماضي الجميلة ويبني أمالا مشرقة للغد الأتي.

ت- أبو القاسم الشابي :

هو شاعر من شعراء القرن العشرين، وله مكانة خاصة في نفوس الجماهير المتذوقة للشعر، ويمثل الشابي المذهب الرومانسي في تونس، لذلك جاء شعره متوهج العاطفة، امتزج فيه الحب مع الطبيعة والوطن امتزاج العابد بالمعبود، وهذا ما جعله يعيش في سعادة غامرة وكأنه مازال طفلا حالما يقول في قصيدة بعنوان "الطفولة": [1]

لله مَا أَحْلَى الطُفُولَة ، إَنَّهَا حُلْمُ الحَيَـــــــــــاةِ

عَهْد كَمَعْسُولْ الرُؤَى مَابَيْنَ أَجْنِحَةِ السُبـَاتِ...

تَرْنُو إِلَى الدُنْيَا، وَمَا فِيهَا بِعَيْن بَاسِـــــــــــمَة

وَتَسِيرُ فِي عَدَوَاتِ وَادِيهَا بِنَفْس حَالِمَـــــــــة

***

إِنَّ الطُفُولَة تَهْتزّ فِي قَلْبِ الرَبِيـــــــــــع

ريَانَة مِنْ رِيّقِ الأَنْدَاءِ فِي الفَجْرِ الوَدِيـــــع

غَنّتْ لَهَا الدُّنْيَا أَغَانِي حُبَهَا وَ حُبُورَهَـــــا

فَتَأَوَّدَتْ نَشْوَى بِأَحْلاَمِ الحَيَاةِ وَنُورِهَـــــا

[1]- أبو القاسم الشابي: المرجع السابق، ص90-91.

إَنَّ الطُفُولَةَ حِقْبَة شِعْرِيَة بِشُعُورِهَـــــــــــا

وَدُمُوعهَا وَسُرُورهَا وَ طُمُوحهَا وَ غُرُورهَـــا

لَمْ تَمْشِ فِي دُنْيَا الكَآبَة وَ التَعَاسَة وَ العَذَاب

فَتَرَى عَلَى أَضْوَائِهَا مَا فِي الحَقِيقَةِ مِنْ كَذَاب

إن الطفولة عند الشابي عنوان للأمل و الحياة ، حيث شبهها بالحلم المعسول الذي يتراءى للإنسان عند تحليقه بعيدا عن واقع الحياة، هذه الأخيرة التي ترنو إليها الطبيعة بأعين باسمة وتسير في دروبها بنفس حالمة، فتهتزّ في قلب الربيع وهي تتلو أغاني الحب والفرح.

د- فوزي المعلوف:

واحد من شعراء المهجر الجنوبي، تميز شعره بالذاتية والخيال فجاء معبرا عن مشاعره و أحاسيسه فها هو ذا في قصيدته "هناك تحظى بمي" يعبر بصدق عن فرحته وسعادته بحبه لمي ورغبته في التواصل معها يقول: [1]

أَيَا هِزَارَ الغَدِيرِ حُييتَ بَيْنَ الطُيُورِ مِنْ نَائِحِ مُسْتَثِيرَ

بِالنّوْحِ عَطْفَ الزُهُورَ

حَيَّا الإِلَهَ صَبَاحَكَ

أَخَذَتْ عَنِّي نَوَاحَكَ *** خُذْهُ وَهَاتِ جَنَاحَكَ

أَطِرْ بِهِ فِي الأَثِيرِ

لاَ غُلَّ قَيْدَ سَرَاحَكَ

***

[1]- فوزي المعلوف: ديوان فوزي المعلوف، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط، 2013، ص73.

أَطْرِبْ بِهِ فِي السديم *** ما فَوْقَ مَتْنِ النَسِيمَ *** بَيْنَ السَّمَا وَ الغَيُومَ

أَصُوغُ نَثْرَ النُجُـومَ

أَصُوغُ دَمْعَ الغَمَامَةَ

عَقْدا أُجِيدُ نِظَامَهُ *** لِجَيد خَيْرُ حَمَامَه

تَحُوزُ دُونَ الرّيم

مِنَ البَيَانِ زِمَامَهُ

وَيَا هَوَا لُبْنَانَ *** يَا عَاطِرَ الأَرْدَان *** أَوَحَ إِلَيّ المَعَانِي

فِي أَجْمَلَ الأَلْحَانِ

رَقِيقَة كَخَطُورَكِ

شَذِيَة كَعَبِيرُكِ *** نَدِيَة كَزَفِيـــرَكِ *** تَهْدِي شُعُورَ جَنَانِي

لِضَبْيِة بِشُعُورَكِ

إن الشاعر في قمة السعادة والفرح، والسبب في ذلك حبه لمي وفي غمرة هذا الحب الجارف راح الشاعر يكلم هزار الغدير الذي اخذ من الشاعر طريقة غنائه؛ حيث أخبره أنه لا بأس بذلك لكن بشرط أن يمنحه جناحه؛ لكي يطير به في الأثير، فيصوغ من نثر النجوم ومن دموع الغمامة عقدا يليق بجيد حبيبته مي خير حمامة، ثم يخاطب هوا لبنان طالبا منه أن يوحي له بمعان بأجمل الألحان شذية كالعبير وندية كالزفير ليعبر بها عن مشاعره لمي.

2- مظاهر التشاؤم في الشعر العربي الحديث:

كثيرة هي المصائب التي تنغص حياة الإنسان وتثقل كاهله: الخيانة، والموت، والحرب... فتجعله يعيش في تعاسة وألم، وهذا ما ينطبق أيضا على شعراء العصر الحديث الذين صفعتهم الحياة صفعة موجعة وأفقدتهم الثقة بها، فعاشوا حياة ملؤها الحزن

والأسى ولقد انعكست هذه المشاعر على شعرهم الذي اصطبغ بالصبغة التشاؤمية نذكر منهم:

أ- نازك الملائكة:

قلبها الحساس وروحها الشفافة جعلتها تشعر بحزن وأسى ليس فقط لما يصيبها في حياتها الشخصية، وإنما لما يصيب البشرية من مصائب وأي مصيبة هي أعظم من الحرب، وأي حزن هو أعمق من الحزن الذي تثيره

تقول في قصيدة بعنوان الحرب العالمية الثانية :[1]

لَمْ يَكَدْ يَسْتَفيق منَ حَرْبه الأولَـى *** وَيَهْنَا حَتَى رَمَتْـــــهُ الرَزَايَـــا

رَحْمَة يَا حَيَاةُ حَسْبُكِ مَا سَـــــا *** لَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دِمَاءِ الضَحَايَا

أُنْظُرِي الآنَ هَلْ تَرَيْنَ سِـــوَى آ *** ثَارَ دُنْيَا بِالأَمْسِ كَانَتْ جَنَانَـــا

لَيْسَ مِنْ سِحْرِهَا سِوَى سُودَ أَحْجَا *** رَ تُثِيرُ الدُمُوعَ وَ الأَحْزَانَـــــا

أَيْنَ نِعْمَاكَ يَا بَقَايَا القُصُورْ الْـ *** بِيضْ أَيْنَ الأَزْهَارَ وَ الأَطْيَـــار

هَجَرَتْكَ الطُيُورَ غَيْرَ غُـــرَاب *** وَجَفَاكَ الأَرِيجْ وَالاخْضـــــــرَار

أَيْنَ أَهْلُوكَ؟ حَدِثِينِي مَـــــاذَا *** يَا رُكَامَ الأَنْقَاضِ كَانَ المَصِيـــر؟

أَيْنَ يَحْيَونَ؟ وَاي كَهْفٍ مِنَ الأَرْ *** ضِ زَوَاهُمْ إيَاهُ وَ الدَيجُـــــور؟

أَيْنَ أَهْلُوكَ يَا قُصُورَ أَتَحْتَ الثَ *** لْجِ أَمَمَزَقَتْـــــهُمْ القَاذِفَـــــات

أَسَفَا ضَاقَتْ المَيَادِينَ بِالقَـــتْ *** لَى وَمَا عَادَ يَدْفِنُ الأَمْـــــوَات

تعتري الشاعرة نازك الملائكة مشاعر الحزن والأسى بسبب حالة الناس الذين لم يكادوا يستفيقوا من الحرب العالمية الأولى حتى داهمتهم الحرب العالمية الثانية، وكأن

[1]- نازك الملائكة: المرجع السابق، ص43-44.

الأرض قد أصيبت بلعنة الحياة التي أشربتها الدمع حتى الثمالة فلم يعد فيها سحر ولا جمال؛ لأن الطيور والعصافير هجرتها إلى الأبد، كما إن الأزهار والأشجار قد استحالت أحجارا سوداء تثير الدموع والأحزان.

ب-عبد الرحمن شكري:

إن تعلق الشاعر بالشعر الرومانسي كان سببا من أسباب تشاؤمه؛ حيث راح يتقصى ويبحث في حقيقة الإنسان بين الخير والشرف كانت النتيجة يائسة من الحياة التي لم تنصف البشر خاصة اليتيم؛

يقول في إحدى قصائده: [1]

يَتِيمْ تَقَاضَاهُ الهُمُوم حَيَاتَـــــهُ *** وَتَظْميه مِنْ طِيبِ الحَيَاةِ خَطُوب

وَمَا اليَتِيمُ إلاَ غُرْبَةَ وَ مَهَانَـــة *** وَايَ قَرِيبَ لِلْيَتِيـــــــم قَـــرِيبَ

يَمُرُ بِهِ الغُلْمَانِ مَثْنَى وَ مُوَحِدَا *** وَ كُلَ امْرِئ يَلْقَى اليَتِيمَ غَرِيـــب

يَرَى كُلَ أم بإبْنِهَا مُسْتَعِـــزَة *** وَهَيْهَاتْ إنْ يَحْنُو عَلَيْهِ حَـــبِيب

يُسَائِلُهُ الغلْمَانَ عَنْ شَانِ أَهْلِهِ *** فَيُحْزِنَهُ إنْ لاَ يُجِيبُ مُجِـــــيب

إذَا جَاءَهُ عِيد مِنَ الحَوْلِ عَـادَة *** مِنَ الوَجْدِ دَمْعٌ هَاطِلْ وَوَجِـــيب

كَانَ سُرُورَ النَاسِ بِالعِيدِ قَسْـوَة *** عَلَيْهِ تَرِيقُ الدَمْعُ وَهُوَ صَـــبِيب

يَظَلُ حَسُودَا لِلَذِيَن أَظْلَهُـــمْ *** مِنَ العَيْشِ فِينَانَ النَعِيمِ رَطِـيب

وَمَا عِلْم الغُلُ الفَتَى كَمُصِيبَـة *** دَهَتْهُ فَلَمْ يَعْطَفْ عَلَيْهِ ضَـرِيب

فَيَا وَيْلَهُ قَدْ مَزَقَ الغُلُ قَلْبَـــهُ *** وَأَنْشَبَ فِيهِ لِلْشَقَـــــاءِ نَيُوب

عَزَاؤكَ لاَ يُلَمْلِم بِكَ الضَيمَ إنَنَا *** يَتَامَى وَ لَكِن الشَقاء ضَـرُوب

---

[1]- عبد الرحمان شكري: المرجع السابق، ص80.

فَهَذَا يَتِيمٌ ثَاكِل صَفو عَيْشَهُ *** وَذَاكَ مِنَ الصَحْبِ الكِرَامَ سَلِيـــــــب

في هذه القصيدة يصف لنا الشاعر الحالة المزرية لليتيم الذي تتقاذفه هموم الحياة التي أصبح غريبا فيها، ليس له قريب ولا حبيب، فبينما الناس مثنى وثلاث، اليتيم المسكين يشعر بوحدة قاتلة، وما يذكي هذا الشعور عنده هو رؤيته للأولاد الآخرين برفقة أمهاتهم اللواتي يحنون عليهم، أما هو فلا أم تحنو عليه ولا أب يسند ظهره عليه،

وبينما يقابل الناس العيد بالفرح والسرور يقابله اليتيم بدمع منسكب وبقلب حاسد للأطفال الذين يعيشون في كنف أسرهم بسعادة فيزيد بذلك لنفسه مصيبة أخرى هي الغل الذي يمزق قلبه وينشب فيه أنيابه مأساة هذا اليتيم أثرت على الشاعر أيما تأثير لذلك راح يواسيه بحقيقة أن كل الناس يتامى كل من ناحية معينة فقط اختلفت أنواع الشقاء التي يعانون منها.

ت- أبو القاسم الشابي:

عانى الشابي من مرض أفقده الأمل في الحياة مبكرا تزوج برغبة من والده الذي كان سنده في هذه الحياة هذا السند الذي سرعان ما هوى حيث فقده وهو في ريعان الشباب. كل هذه المصائب لونت حياته بلون اسود قاتم فعاشها كئيبا حزين.

وهذا ما أعلنه في قصيدة بعنوان الكآبة المجهولة التي يقول فيها: [1]

أَنَا كَئِيبْ

أَنَا غَرِيبْ

كَآبَتِي خَالَفَتْ نَظَائِرُهَا

غَرِيبَة فِي عَوَالِمِ الحُزْنِ

كَآبَتِي فِكْرَة مُـــــغَرِدَة

(1)- أبو القاسم الشابي: المرجع السابق، ص47-48.

مَجْهُولَةٌ مِنَ مَسَامِعِ الزَمَـــنِ

لَكِنّنِي قَدْ سَمِعْتُ رَنَتَهَـــــا

بِمَهْجَتِي فِي شَبَابِي الثَمِـــلْ

سَمِعَتُهَا فَانْصَـــرَفْتُ مُكْتَئِبـاَ

أَشْدُو بِحُزْنِي كَطَائِرَ الجَبَـــلِ

سَمِعْتُهَا أَنَة يَرْجِعُهَـــــــا

صَوتُ اللَيَالِي، وَ مَهْجَة الأَزَلِ

سَمِعْتُهَا صَرْخَة مُضَعْضَعَـة

كَجَدْولْ فِي مَضَايقْ السُبُـلِ

سَمِعْتُهَا رَنَة، يُعَانِقُهـــــاَ

شَوْقٌ إِلَى عَالَمْ يُضَعْضِعُهَا

ضَعِيفَة مِثْلَ أَنَة صَعِـدَتْ

مِنْ مَهْجَة هَدَهَا تُوجِعُــهَا

إن كآبة الشاب فريدة من نوعها، غريبة عن نظيراتها في عالم الحزن. فهي فكرة مغردة مجهولة ألقاها الزمن في آذانه فسمع رنتها منذ شبابه فلم يكن باستطاعته إلا أن ينصرف مكتئبا يشدو بحزنه كطائر الجبل كآبة الشابي، إذن، ليست ككآبة كل الناس والفرق بينهما هو إن كآبة الناس شعلة لابد أن تخبو مع مرور الزمن، أما كآلة الشّابي فهي لوعة ستصاحبه إلى الأبد، حيث يقول: [1]

كَآبَةَ النَاسِ شُعْلَة، وَمَتَى

[1]– أبو القاسم الشابي: المرجع السابق، ص48.

مَرَتْ لَيَالِي خَبَتْ مَعَ الأَمَدِ

أما إِكْتِآبِي فَلَوْعَة سَكَنَتْ

رُوحِي، وَتَبْقَى بِهَا إِلَى الأَبَدْ

د-فوزي المعلوف:

تأثر فوزي المعلوف كثيرا بالذهب الرومانسي الذي يدعو إلى التأمل في أسرار الحياة والكون هذا التأمل الذي لا محالة سيجر صاحبه إلى تساؤل وحيرة قاتلة. وهذا ما نستشفه من خلال قراءتنا لقصيدة "لغز الوجود" التي يقول فيها: [1]

بُرْعم الزَهْرِ مَا وَجَدْتُ لِتَبْقَى

بَلْ لِيَمْضِي بِك الخَرِيــفُ

هَذِهِ حَالُنَا خُلِقْنَا لِنَشْقَــى

وَلِتَقْضِي بِنَا الحــــتُوف

***

كَيْفَ جِئْنَا الدُنْيَا؟ وَمِنْ أَيْنَ جِئْنَـا؟ *** وَإِلَى أَي عَالَم سَوْفَ نَفْضِــــي؟

هَلْ حَيَيْنَا قَبْلَ الوُجُودِ؟ وَهَـلْ نُب *** عَثُ بَعْدَ الرِدَى؟ وَفِي أَي أَرْض؟

هُوَ كَنَهُ الحَيَاةَ مَازَالَ سِـــــرًا *** كُلَ حُكْمٍ فِيهِ يَئُولَ النَـــــقْض

كَيْفَ أَجْلُو غَدِي؟ وَأُدْرِكُ أَمْسِــي؟ *** وَأَنَا حِرْتُ كَيْفَ يَوْمِي سَيَمْضِــــي؟

يخاطب الشاعر في هذه القصيدة برعم الزهر ويخبره بكل أسف وحزن أنه لم يخلق ليبقى، وإنما خلق ليفنى حاله حال الشاعر البائس، الذي كان ومازال حائرا أمام هذا الوجود الذي لم يستطع أن يفهمه يوما، كيف جاء ومن أين جاء؟ وما هو المصير الذي

[1]- فوزي المعلوف: المرجع السابق، ص73.

سيمضي إليه؟ ثم لماذا يسأل عن الماضي البعيد والغد المجهول؟ أليس الأولى أن يسأل كيف سيمضي اليوم الذي هو فيه؟ كل هذه الحيرة وهذا التساؤل جعلت الشاعر يعيش في دوامة حقيقية ملؤها الأسى والانكسار.

صور الشعر العربي الحديث حياة العربي في هذا العصر، فجاءت معالم هذه الصور معبرة عن تلك الحياة التي انطوت على مظاهر تفاؤلية ومظاهر تشاؤمية الحزن والحيرة.

كل هذه المشاعر ملأت قلوب شعراء هذا العصر وما شعر نازك الملائكة، وأبو القاسم الشابي، وعبد الرحمن شكري وفوزي المعلوف إلاّ دليل حي على ذلك.

الفصل الثاني

نزعة التفاؤل و التشاؤم في ديوان إيليا أبو ماضي

إن الأفراح والأحزان تتقاسم حياة الإنسان مناصفة ،فيسعد ويتفاءل بالأولى ويحزن ويتبرم من الثانية، ولان إيليا أبا ماضي إنسان قبل أن يكون شاعرا فانه لم يشذ عن القاعدة حيث كان سعيدا أحيانا وتعيسا أحيانا أخري تبعا للظرف الذي يعيشه، لذلك اتخذت التجربة الشعرية عند إيليا أبي ماضي مسارات مختلفة تنبع من تأملات نفسية وفكرية عميقة.

فأبو ماضي شاعر يملك إحساسا مرهفا، وتفكيرا عميقا، أثر على شعره الذي جاء مرآة عاكسة لما يختلج في نفسه من أمل ويأس وحب وكره وسعادة وحزن وتفاءل وتشاؤم.

أولا: نزعة التفاؤل في الديوان:

إن المتصفّح لديوان أبو ماضي تستوقفه لا محالة سعادة هذا الشاعر وتفاؤله وإقباله على الحياة بكل ملذاتها، فتجده مفتونا بالطبيعة ومستمتعا بعناصرها؛ من سماء ونجوم وأنهار... ومتسلحا بقوة الشباب وحيويته ومحبا للناس داعيا إياهم إلى الاستمتاع بمفاتن هذا الوجود.

ومن مظاهر تفاؤله ما يلي:

1/ الرضى بالقضاء و القدر:

يبدو الشاعر إيليا أبو ماضي مؤمنا بالقضاء والقدر، مسلما نفسه إليه ،راضيا بما قسم الله له، فهو لا يفكر في الأمس؛ لأنه مضى وانتهى، كما لا يريد أن يفكر في الغد؛ لأنه لم يأت بعد، فتجده يحاول الاستمتاع باللحظة التي يعيشها إلى أقصى حد، فان كانت سعيدة فبها ونعمت، وان كان الأمر عكس ذلك وجدته يحاول أن يقتبس السعادة حتى من الحزن؛ حيث يقول: [1]

رَضِيَتْ نَفْسِي بِقِسْمَتِهَا * * * فَلَيُرَاوِدَ غَيْرِي الشِهَبـــــا

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص80–81.

كُلَ نَجْمٍ لاَ اهْتِدَاءَ بِـــــهِ * * * لاَ أُبَالِي لاَحَ أَوْ غَرَبَـــــا

كُلُ نَهْرٍ لاَ اِرْتِوَاءَ بِـــــهِ * * * لاَ أُبَالِي سَالَ أَوْ نَضَبَـــــا

مَا غَدٌ, يا مَنْ يُصَـــــوِرهُ * * * لِي شَيْئًا رَائِعًا عَجَبَـــــا

مَا لَـهُ عَيْنٌ وَلاَ اَثَـــــــرٌ * * * هُوَ كَالأَمْسِ الَذِي ذَهَبَـــــا

اَسْقِنِي الصَهْبَاءُ إِنْ حَضَرَتْ *** ثُمَ ضِفْ لِي الكَأسَ وَالحَبَبَا

لَيْسَ يَرْوِينِي مَقَالَكَ لِـــــي * * * إِنّهَا العقيَانُ مُنْسِكِبَـــــــا

إِنّ صدَقَا لاَ أُحِس بِـــــهِ * * * هُوَ شَيءٌ يُشْبِهُ الكَذِبَـــــا

لقد رضي إيليا أبو ماضي بما قسم الله له لكي يحقق التوازن النفسي، ولأنه عرف أن لا فائدة ترجى من التمرّد على إرادة القدر، لذلك قرّر أن لا يتحسر على أشياء ليست من نصيبه، وراح يركز على ما منحته الحياة من نعم ويحاول أن يستسقي منها السعادة والفرح حتى في أحلك الظروف، يقول: [1]

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا حَزِنُوا * * * وَجَدُوا فِي حُزْنِهِمْ طَرَبَا

وَإِذَا مَا غَايَةٌ صَعِبَتْ * * * هَوَنُوا بِالتَرْكِ مَا صَعُبَا

وفي قَصيدة "الحكاية الأزلية" تقمص إيليا أبو ماضي شخصيات مختلفة، راح يحاور الله على ألسنتهم مبينا رفضهم لقدرهم، والحكاية أزلية حقا فالإنسان منذ أن وجد على سطح الأرض لم يرض أبدا بما قدمته الحياة له، فظل يتطلع إلى ما عند غيره من نعم ، يقول الشاعر على لسان الشاب: [2]

قاَلَ اَلْفَتَى: يَا رَب إِنّ الصِبَا * * * مَصْدَرُ آلاَمِي وَأَحْزَانِي

الْبَسْتَنِيه مَوْنِقًا بَعْدَمَـــــا * * * أَبْلاَهُ أَخْوَالِي وَأَعْمَامِـي

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص81.

[2]– المصدر نفسه، ص608.

وَصَارَ فِي مَذْهَبِهِمْ عَصْرُهُ * * * فَتْرَة زَلاَت وآثـــــَامِ

فَاخْتَلَفَتْ حَالِي وَحَالاَتِهِـــمْ * * * كَأَنِي فِي غَيْر أَقْوَامِ

فالفتى لم يعد يحتمل الصبي لأن الجميع ينظر إليه نظرة انتقاص، باعتبار أنه مازال يعيش فترة مراهقة، أكثر ما يميزها الآثام والزلات بينما زاد الشيب أفراد قومه هيبة ووقارا لذلك طلب الفتى من ربه أن يأخذ الشباب لأنه ضاق ذرعا به وأن يزرع الشيب في رأسه لتتغير نظرة المجتمع إليه.

وعلى العكس منه، نادى الشيخ ربه طالبا منه أن يعيد إليه شبابه يقول: [1]

وَجَاءَ شَيْخُ حَائِرٌ وَاجـــــفٌ * * * مُشْتَعِلُ اللَّمَةِ بَالِي الإهَـــــــابِ

كَأَنّمَا زَلْزَلَةٌ تَحْتَـــــــــــهُ * * * لمَا بِهِ مِنْ رَعْشَةٍ وَاضْطِـــــرَاب

فَصَاحَ: يَا رَبَّاهُ خُذْ حِكْمَتِي * * * وَارْدُدْ عَلَى عَبْدِكَ عَصْرَ الشَبَابِ

إنَّ أَمَانِي الرُوحِ أَزْهَارُهَـــا * * * وإنّ رُوحِي اليَوْمِ قَفَرُ يبـــــاب

لاَ جَدْوَلٌ لاَ بُلْبُلٌ مُنْشِـــــدْ * * * بَلَى بِهَا الوحْشَةُ وَالاكْتِئَـــــابَ

إن قلب الشيخ يعتصر ألما بسبب الشيخوخة الملعونة، فهو لم يعد يحتملها ،لذلك راح يطلب من الله إن يرجع إليه شبابه الذي منذ أن غادره لم ينعم بليلة هانئة حيث ساد أيامه الوحشة والاكتئاب وأصبحت روحه عارية فارغة وكأنها القفر.

وها هي ذي الحسناء تشكو إلى الله ما فعل بها الجمال حيث جعلها مطمعا للناس جميعا يرشقونها بنظرات الفحش و الفساد لذلك تمنت لو أنها مجرد دمية لا مشاعر لها ولا أحاسيس يقول الشاعر على لسانها: [2]

إنْ عَشِقَتْ نَفْسِي فَوَيْلٌ لَهَا * * * والوَيْلُ لِي إنْ رَجُلٌ حَبَنِي

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص609.

[2]– المصدر نفسه، ص611.

السُّمُ وَالشَوْكُ وَ جَمَرُ الغَضَا * * * أَهْوَنُ مِنْ كَاشِحَةُ الأَلْسُـــنْ

كَمْ تَقْتَفِينِي نَظَرَاتُ الخَنَـــا * * * وَيْلِي مِنْ خَائِنَة الأَعْيُـــنِ

لَمْ يَبْقَ فِي رُوحِي مِنْ مَوْضِع * * * يَا رَب لَمْ يُخْدُشْ وَلَمْ يُطْعَن

إِنّ الغِنَى فِي الوَجْهِ لِي آفَةُ * * * فَلَيْتَ أَنِي دُمْيَةٌ لَيْتَنِـــــي

فالجمال جلب للحسناء الهم بينما جلب القبح للجارية المذلة و الهوان حيث تقول:[1]

ذَنْبِي إِلَى هَذَا الوَرَى خلْقَتِـــي * * * فَهَلْ أَنَا المُجْرِمَةُ الجَانِيَـه

إِنْ أَخْطَأَ الخَزَافُ فِي جَبَلِهِ الْـ * * * طِيْنَ فَأَيُ ذَنْبٍ لِلْآنِيَـــه

أَلَيْسَ منْ يَسْخَرُ بِي يَـزْدَرِي * * * بِالْقُوَةِ المَوجَدَة البَارِيَـــه

لَوْ كُنْتُ حَسْنَاءَ بَلَغْتُ العُلَى * * * فَلِلْجَمَال الرُتْبَةُ العَالِيَـــه

فَبَاتَ مَنْ أَسْجُتدُ قَدَّامَـــــهُ * * * صَاغِرَةً يَسْجُدُ قَدَاميـــــه

إن ذنب الجارية الوحيد هي أنها ليست جميلة، لكن هذا الأمر ليس بيدها، إذ أنها لم تصنع نفسها بنفسها، ولكن هيهات أن يفهم الناس ذلك؛ إنهم ينظرون إليها نظرة احتقار وازدراء ،الأمر الذي لم تعد تستطيع احتماله، لذلك طلبت من الله أن يجعل الحسن رداءها لتنتقم من كل من احتقرها يوما.

واستمر الاعتراض على القضاء والقدر من الجميع؛ من الغني والفقير والأبله والأديب، إلى أن قرر الإله أن يمنح كل واحد منهم ما أراده، فاستبشروا في البداية لكنهم سرعان ما أدركوا أن هذا التغيير لن يجعلهم سعداء ،ولو تغيرت سمتهم في كل لحظة، فسر السعادة الحقيقية هو التكيف مع القضاء والقدر؛ إذ أن السعيد ليس من يملك كل

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص611.

شيء بل هو من يسعد بأي شيء يملكه ، وهي الحقيقة التي وصل إليها أبو ماضي فعاش مرتاح البال سعيدا بما تمنحه الحياة له.

2/ الحب:

هذا الشعور الراقي الذي يهذب النفس البشرية ويزرع فيها المشاعر النبيلة على أساس أنه قضية شمولية بعيدة كل البعد عن النظرة الحسية التي تاه فيها غيره من الشعراء فالحب عنده مفهوم يتسامى في الشفافية حتى يصل إلى درجة التصوف وهذا ما نستشفه من قراءتنا لقصيدته"بالحب عرفت الله": [1]

قَالَ قَوْمٌ: إِنَّ المَحَبَةَ إِثْـــــمٌ! * * * وَيْح بَعْض النُّفُوسِ مَا أَغْبَاهَا

إِنَّ نَفْسًا لَمْ يُشْرق الحُبُ فِيهَـــا * * * هِي نَفْسُ لَمْ تَدْرِ مَا مَعْنَاهَا

خَوَّفُونِي جَهَنّمَ وَلظَاهَـــــــا * * * أَيُ شَيْء جَهَنّمُ وَلَظَاهَـــا

لَيْسَ عِنْدَ اللهِ نَارُ لِذِي حُـــبٌ * * * و نَارُ الإِنْسَانِ لاَ أَخْشَاهَـــا!

أَنَا بِالحُب قد وَصَلْتُ إلى نَفْسي * * * وَبالحب قد عـــــرفت الله!

فنفس إيليا إذن عرفت السكينة لأنها عرفت كيف تحب، وليعبر إيليا عن هذا نجد أنه قد رسم صورة رائعة للحب؛ حيث جعله كالنور الذي يرشدنا إلى الطريق الصحيح وينقذنا من دياجير الحياة من جهة، ومن جهة أخرى يساعدنا في معرفة أسرار النفس وكذا أسرار الوجود؛ إذ أن الذي لا يحب لا يعرف نفسه ولا يعرف الله.

وفي قصيدة "تلك السنون" عبر الشاعر عن قيمة الحب في وحدة الإنسانية ومن ثم سعادتهم بهذه الوحدة، حيث يقول:[1]

مَنْ كَانَ يَحْلُمِ بِالسَّمَاءِ فَإِنَّنِي * * * فِي قَلْبِ إِنْسَان وَجَدْتُ سَمَائِي

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص564، 566.

[1] – إيليا أبو ماضي: المصدر نفسه، ص27.

لَيْسَ الجَمَالُ هُوَ الجَمَالُ بِذَاتِـــهِ * * * الحُسْنُ يوجَدُ حِينَ يُوجَدُ رَاءِ

مَا الكَونُ؟ مَا فِي الكَوْنِ لَوْلاَ آدَمُ * * * إلاَّ هَبَاءُ عَالِقٌ بَهـــبْـــاء

وَأَبُو البَرِيَةِ مَا أَبَانَ وُجُـــــودَهُ * * * وَأَتَمَّ غَايَتَهُ سِوَى حَـــــوَاء

إِنّي سَكَبْتُ الخَمَرَ حِينَ سَكَبْتُهَا * * * لِلنَّاسِ، لاِ لِلْأَنْجُمِ الـــزّهْرَاء

لاَ شَربَ الخَمرَ النُّجومُ وَإِنْ تَكُنْ * * * مَعْصُورَةٌ مِنْ أَنْفُسِ الشُـــعَرَاءِ

فأيام أبي ماضي إذن يسودها الهناء والسعادة والبهجة، وما يسكب عليه هذه المشاعر الجميلة ،هو حبه غير المحدود للناس كافة، فهو يعيش بهم ولهم.

إنه يرى كل ما في الكون من ارض وسماء ونجوم لا يساوي شيئا عنده، إن لم يشاركه فيها الناس. وأن لا ذوق ولا معنا ولا لذة للخمرة إن لم يسكبها لأخيه الإنسان. وفي نظر إيليا إن هذا الأمر هو قانون البشرية منذ الأزل فلولا حواء لما تمت الغاية التي خلق من أجلها آدم.

وفي مقام آخر يدعو إيليا دعوة صريحة إلى الحب الذي يوقظ المشاعر الجميلة ويلون الكون بأجمل الألوان، فيتحول الظلام إلى نور ساطع والفقر إلى ترف وسعة.

يقول في ذلك: [1]

أَحْبِبْ فَيَغْدُو الكُوخُ كَوْنًا نَيِـــــرًا * * * وَأَبْغِضْ فَيُمْسِي الكَوْنُ سِجْنًا مُظْلِمًا

مَا الكَأسُ لَوْلَا الخَمَرُ غَيْرَ زُجَاجَة * * * وَالمَرْءُ لَوْلاَ الحُب إلاَّ أَعْظَمَـــــــا

لوْ تَعْشَق البَيْدَاءُ أَصْبَحَ رَمْلُـــــهَا * * * زَهرًا، وَصَارَ سَرَابُهَا الـــخَدَاع مَا

فمن الحب والعطاء يستمد أبو ماضي سعادته حيث يقول:[2]

فَاعْمَلْ لِإِسْعَادِ السِوَى وَهَنَائِهُمْ * * * إِنْ شِئْتَ تَسْعَد فِي الحَيَاةِ وَتَنْعَمَـــا

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص458.

[2]– المصدر نفسه ، ص457.

فإيليا يربط سعادته بسعادة الآخرين، وهذا دليل على مدى حبه لهم ،ويتمنى لو أن كل إنسان يعمل على سعادة الآخر ليعيش الجميع في هناء وأمل.

هذا الحب الجارف وهذه المشاعر الجياشة جعلت أبا ماضي يتجلى في بعض قصائده معلما يعلمنا دروسا يبقى صداها يرن في أسماعنا طويلا حيث يقول: [1]

كُنْ بَلْسَمًا إِنْ صَارَ دَهْرُكَ أَرْقَمَا * * * وَحَلَاوَةً إِنْ صَارَ غَيْرُكَ عَلْقَمَـا

إَنْ الحَيَاةَ حَبَتْكَ كُلَ كُنُوزَهَـــا * * * لاَ تَبْخَلَنَ عَلَى الْحَيَاةِ بِبَعْضِ مَا...

وفي مقام آخر يقول أبو ماضي: [2]

قَالَ السَّمَاءُ كَئِيبَةٌ وَتَجَهَـــــمَ * * * قُلْتُ ابْتَسِمْ يَكف التَجَهُمَ فِي السَمَا

قَالَ الصِبَا وَلَى فَقُلْتُ لَهُ ابْتَسِـمْ * * * لَنْ يَرْجِعَ الأَسَفُ الصِبَا المُتَصرِمَا

قَالَ التِي كَانَتْ سَمَائِي فِي الهَوَى * * * صَارَتْ لِنَفْسِي فِي الغَرَامِ جَهَنَّمَـا

خَانَتْ عُهُودِي بَعْدَمَا مَلَكْتُهَـــا * * * قَلْبِي فَكَيْفَ أَطِيقُ أَنْ اتبسَّمَـــا؟

قُلْتُ: ابْتَسِمْ وَاطْرِبْ فَلَوْ قَارَنْتَهَـا * * * لَقَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَهُ مُتَبَرِمَـــا

☆

قَالَ: العدَى حَوْلِي عَلَتْ صَيحَاتُهُمْ * * * أَأَسَر وَالأَعْدَاءَ حَوْلِي فِي الحمَى؟

قُلْتُ: اِبْتَسِمْ، لَمْ يَطْلُبُوكَ بِذَمِهِـــمْ * * * لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ أَجَلُ وَأَعْظَمَـا!

☆

قَالَ: اللّيَالِي جَرَّعَتْنِي عَلْقَمَـــــا * * * قُلْتُ: اِبْتَسِمْ وَلَئِنْ جَرَّعَتْك الْعَلْقَمَا

فَلَعَلَ غَيْرَكَ إِنْ رَآكَ مُرَنَّمَـــــا * * * طَرَحَ الكَآبَةَ جَانِبَا وَتَرَنَّمَـــــا

قَالَ البَشَاشَةُ لَيْسَ تَسْعَدُ كَائِنَـــا * * * يَأْتِي إِلَى الدُنْيَا ويَذْهَبُ مُرْغَمَـا

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص457.

[2]– المصدر نفسه، ص455.

قُلْتُ اِبْتَسِمْ مَا دَامَ بَيْنَكَ وَالرَدَى * * * شِبْرُ، فَإنّكَ بَعْدُ لَنْ تَتَبَسَمَـــا

وفي هذه المقطوعة ؛كأن إيليا أخذ على عاتقه أن يزرع في الناس التفاؤل الذي يملأ قلبه؛ حيث راح يتخيل سبب تعاسة الناس، ليعطيهم بعدها حججا قوية على أن الأولى أن يسعدوا، وذلك بان ينظروا إلى الحياة بعين الرضا ويركزوا على الأمر المشرق من الواقع. ثم يحاولوا تغذيته لينمو، ويتغلب في الأخير على ما في الحياة من مصاعب.

ثم إن تفاؤل الإنسان وسعادته يؤدي بالضرورة إلى سعادة أخيه الإنسان. لذلك على كل واحد منا أن يرسم ابتسامة على وجهه رغم ما يواجهه من صعوبات، فهو بهذا على الأقل يسعد أخاه الإنسان ويسقط عليه هذه الابتسامة.

إذن فلتكن "فلسفتنا الابتسام دائما ما دمنا أحياءً، ولننتهز فرصة الحياة قبل أن نصير إلى لا شيء "[1]

ولأن إيليا رجل فإن حياته لم تخل من المرأة حيث أحبها حبا عذريا كان فيه مثل الطائر الذي تحرّر من قيود الأرض؛ حيث يقول:[2]

أَعْطَيْتُ مِنْ أَعْشَقُهـــا وَرْدَة

مِنْ بَعْد أَنْ أَوْدَعْتُهَا قَلْبِـــي

فَجَعَلْتْ تَنْثُرُ أَوْرَاقَهَـــــــا

بِأَنْملِ كَالعنَـــــــمِ الرَطِبِ

لاَ تَسْأَلُوا العَاشِقَ عَنْ قَلْبِهِ

قَدْ ضَاعَ بَيْنَ اللّهْوِ وَاللّعِبِ

(1)– شوقي ضيف: المرجع السابق، ص188.

(2)– إيليا أبو ماضي:المصدر السابق، ص67.

يتكلم الشاعر في هذه الأبيات عن حبيبته التي قدم لها وردة،راحت تنثر أوراقها، بعد أن قدم لها أغلى شيء عنده وهو قلبه، لذلك ضاع بين اللهو واللعب؛ حيث لا مكان للتفكير ولا للمنطق ، ومن ثم لا مكان للشقاء.

وها هو في مقام آخر يخبرنا ماذا فعلت به ابتسامتها حيث يقول : [1]

مَازِلْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الحُبَّ زَايَلَنِـــي

حَتَى نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَهي تَبتَسِـــمُ

فَاهْتَزَّ قَلْبِي كَمَا تَهْتَزُّ نَابتـــــة

فِي القَفْرِ مَرَ عَلَيْهَا النُورُ وَالنَسَمُ

يَا حُبَّهَا لاَ تَخَفْ شَيْبَا وَلَا هَـرَمَا

فَلَيْسَ يَقْوَى عَلَيْكَ الشَيْبُ وَالْـهَرَمُ

إنه الحب، الذي يفعل بصاحبه الأفاعيل؛ فشاعرنا لا يخيفه مشيب ولا يؤرقه هرم، وما جعله يتغلب عليهما ابتسامة الحبيبة له «فالحب هو الينبوع الأبدي الدائم للنشوة والانفعال»[2]

3. الشباب:

ربيع العمر الذي يملأ القلب سعادة وأملا، بحيث يلمح صاحبه النور في الظلام واللذة في الألم والجمال تحت النقاب يقول أبو ماضي: [3]

قُلْتُ: يا سَاكِنَةَ الغَابِ ويَا بِنْت التُـــــرَابِ

لاَ تَلُجِّي فِي احْتِذَابِي، أَوْ فَلُجِّي فِي احْتِذَابِي

---

[1]–إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص424.

[2]– إيليا الحاوي: المرجع السابق، ص181.

[3]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص65.

إَنَّ عُودًا فِيهِ مَاءٌ لَيْسَ عُودًا لاحْتِطَـــــابِ

أَنَا فِي فَجْرِ حَيَاتِي، أَنَا فِي شَرْخِ شَبَابِـــي

الْهَوَى مِلْءُ فُؤَادِي وَالصّبِى مِلْءُ إِهَابِـــي

وَالمُنَى تَنْبُتُ فِي دَرْبِي وَتَمْشِي فِي رِكَابِـي

أَنَا لَمْ أَضْجَرْ مِنَ الْعَيْشِ وَلَمْ أَمْلُلْ صحَابِي

لَمْ أَزَلْ أَلْمَحُ طِينَ المَجْدِ حَتِى فِي السَـرَابِ

لَمْ أَزَلْ اسْتَشْعِرُ اللّذَةُ حَتَى فِي الـــعـَذَابِ

لَمْ أَزَلْ أَسْتَشْرِفُ الحُسْنَ وَلَوْ تَحْتَ نِـقَابِ

إن الشباب يجعل الشاعر يحب الحياة ويحب الناس، إنه يشعر أنه جزء من الحياة إن لم يكن الحياة نفسها فهو شاب يملأ الصبا قلبه ويملأ الهوى فؤاده، إنه كالعود المليء بالماء لا شيء يمكن أن يكسره حيث يقول في قصيدة ما أجمل الأحلام في أول العمر:[1]

كَأَنِي بَدْرٌ وَالزُهُورُ كَـــــــوَاكِـبٌ * * * وَذَا الرَوْضِ أُفُق ضَاءَ بِالبَدْرِ وَالزَهْر

كَأَنِي وَقَدْ أَطْلَقْتُ نَفْسِي مِنَ العنَــا * * * مَلِيك لِي الأَغْصَانُ كَالْعَسْكَر المَجَر

فَمَا اَسْعَدَ الإِنْسَانَ فِي سَاعَةِ المُنَى * * * وَمَا أَجْمَلَ الأَحْلاَمَ فِي أَوَلِ العُمْـــرِ

يشعر إيليا أبو ماضي في عصر الشباب، أنه مليك له السماء والبدر والزهر بل كأنه طائر حر طليق فما أسعد الشاعر في هذا العصر؛ العصر الذي تكون فيه الأحلام في أجمل حلة.

وفي مقام أخر يصف أبو ماضي الشبان والشابات بأروع الصفات، حيث جعلهم في مكانة عالية، فهم حصون البلاد وحماتها وهم أسوارها المنيعة ،هم زهور الأرض إذا

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق ، 259.

اختفت الزهور وهم شهبها إذا زالت الشهب .فالشاعر مطمئن على غده لأنه في أياد آمنة إياد سلاحها القلم و الدواة؛ هذا السلاح الذي لا شك سيضمن لها الخلود حيث يقول: [1]

سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ رِجَال الوَفَـــــــاء * * * وَأَلْفُ سَلاَم عَلَى الوَافِيَــاتْ

وَيَا فَرَحَ قَلْبِي بِالنَاشِئِيـــــــنَ * * * فَفِي هَؤلاَءِ جَمَالُ الحَيَـــاةِ

هُمْ الزَهْرُ فِي الأَرْضِ إِذْ لاَ زُهُور * * * وَشُهُبُ إِذ الشُهبُ مُسْتَخْفِيَاتُ

إِذَا أنا أَكْبَرْتُ شأن الشَبـــــاَب * * * فَإِنَ الشَبَابَ أَبُو المُعْجِـزَاتِ

حُصُون البِلاَدِ وَأَسْـــــــــوَارهَا * * * إِذَا نَامَ حُرَّاسُهَا وَ الحُمَــاتُ

غَدَا لَـهُمْ وَغَـدَا فِيـــــــــــهُمْ * * * فَيَا أَمْس فَافْخَرْ بِمَا هُوَ آتٍ

وَيَا حَبَذَا الأُمَهَاتُ اللّوَاتِـــــي * * * يَلِدْنَ النَوَابِغَ وَ النَابِغَـــــاتِ

فَكَمْ خَلَدَتْ أُمَـةٌ بيـــــــــراع * * * وَكَمْ نَشَأَتْ أُمَـةٌ فِـــــي دَوَاة

4/ الطبيعة:

كانت الطبيعة ولا تزال منبعا خصبا للشعراء على مر الزمن فعناصرها تؤثر عليهم أيما تأثير وها هو إيليا أبو ماضي هو الأخر«يندفع في تفاؤله، ويشغف بمفاتن الوجود ويلتقي مع الشاعر الفارسي عمر الخيام في مدى التمتع بها، والإقبال على قطفها قبل الغياب أو الرحيل"[2]: حيث يقول: [3]

فَاصْغِي إِلَى صَوْتِ الجَدَاوِلِ جَارِيَات فِي السُّفُوح

وَاسْتَنشقِي الأَزْهَارَ فِي الجَنَّاتِ مَا دَامَتْ تَفُـــوحُ

وَتَمَتَّعِي بِالشُّهبِ فِي الأَفْلاَكِ مَا دامَتْ تَلُـــوحُ

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص122، 123.

[2]– كاظم حطيط: المرجع السابق، ص281.

[3]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص551.

فعناصر الطبيعة من أزهار وأشجار وسواقي وأنهار تزرع الأمل والسعادة في قلب الشاعر فيمسى مرنما مغردا مثله مثل الطيور حيث يقول: [1]

إِنّي امرؤ لاَشَيْء يَطْرُبُ رُوحَـــهُ * * * وَيَهُزُهَا كَالزّهْرِ وَالأَلْحَـــانِ

اللّحْنُ مِنْ قَمَرِيّة أَوْ مَنْشـــــــد * * * وَالزّهْرُ فِي حَقْلِ وَفِي بُسْتَانِ

هَذَا يُحَرّكُ فِي دَفِينِ صَبَابَتِـــي * * * وَيَهُزّ ذَاكَ مَشَاعِرِي وَكَيَانِي

يَهْوَى المَلاَحَةَ نَاظِرِي صُوَرًا تُرَى * * * وَأُحِبُهَا فِي مَسْمَعِي أَغَانِـــي

وَأُحِبُهَا نُورًا جَمِيلاً صَافِيـــــا * * * مُتَأَلِقًا فِي النّفْسِ وَالوجْـدَانِ

وَأُحِبُهَا سِحْرًا يَرِفُ مَعَ النَـــدَى * * * وَيَمُوجُ فِي الأَلْوَانِ كَالأَلْوَانِ

وَأُحِبُّهَا ذِكْرَى تَطِيفُ بِخَاطِـــرِي * * * لِأَخٍ هَوَيْتُ، وَغَادَة تَهْوَانِـــي

أَوْ مَجْلِسٍ لِلْحُبِ فِي ظِلِ الصِـبّا * * * إِنَ الحَيَاةَ جَمِيعَهَا هَـــذَانِ

والطبيعة لم تكن بالنسبة لأبي ماضي مجرد شيء جميل يعجب به ويتمتع بمناظره ثم ينساه، بل إن الطبيعة قد امتزجت بروح الشاعر امتزاجا ،إنها تحس به وتسليه وتروح عن نفسه، بل وأكثر من ذلك فهي تنسيه حتى حبيبته حيث يقول: [2]

رَوِض إِذَا زُرْتَهُ كَئِيبَـــــا * * * نَفّس عَنْ قَلْبِكَ الكَرُوبَا

يُعِيدُ قَلْبَ الخَلَيّ مُعْـــرَى * * * وَيَنْسَي العَاشِقَ الحَبِيبَا

إِذَا بَكَاهُ الغَمَامُ شَقَـــتْ * * * مِنَ الأَسَى زَهْرُهُ الجَيُوبَا

تَلَقَى لَدَيْهِ الصَّفَا ضَرُوبَـا * * * وَلَسْتَ تَلْقَى لَهُ ضَرِيبَـا

وَشَّاهَ قَطْرُ النَّدَى فَأَضْحَى * * * رِدَاؤُهُ مَعْلَمَا فَشِيبَـــــا

فَمِنْ غُصُونِ تَمِيسُ تِيـهِا * * * وَمِنْ زُهُورِ تَضوع طِيبَا

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص490.

[2]– المصدر نفسه ، ص82– 83.

وَمِنْ طُيُورِ إِذَا تَغَنَّـتْ * * * عَادَ المَعْنَى بِهَا طَرُوبَا

وَنَرْجَسٍ كَالرَقِيبِ يَـرْنُو * * * وَلَيْسَ مَا يَقْتَضِي رَقِيبَا

وَأَقْحُوَانٍ يُرِيـــكَ دُرَا * * * وَجُلُّنَارٍ حَكَى اللَهِيبَـــا

وَجَدْول لاَ يَزَالُ يَجْرِي * * * كَأَنَهُ يَقْتَفِي مُرِيبَـــــا

تَسْمَعْ طورًا لَهُ خَرِيرًا * * * وَتَارَةً فِي الثَرَى دَبِيبَـــا

إِذَا تَرَامَى عَلَى جَدِيب * * * أَمْسَى بِهِ مُرْبَعًا خَصِيبَا

يصف إيليا في هذه القصيدة الروض الغناء، و ما يشعر به عندما يزوره، فهو كثيف الأشجار والنباتات، زاهي الألوان، طيب الرائحة ،عذب المياه. ما إن يزوره شاعرنا حتى يستحيل الحزن فرحا والظلام نورا فيصبح طروبا مثله مثل طيور الروض:

يقول في ذلك: [1]

لِلّهِ مَا أَشْهَي القُرَى وَأَحَبَـهَـــــا

لِفَتَى بَعِيدَ مُطَارِحَ الأَفْكَـــــــار

إِنْ شِئْتَ تَعْرَى مِنْ قُيُودِكَ كُلِّهَـا

فَانْظُرْ إِلَى صَدْرِ السَّمَاءِ العَارِي

وَامْشِ عَلَى ضَوءِ القَمَرِ فَإِنْ خَبَا

فَامْشِ عَلَى ضَوءِ الهِلاَلِ الشَارِي

عِشْ فِي الخَلاَءِ تَعِشْ خَلِيّا هَانِئًا

كَالطَيْرِ... حُرًّا، كَالغَدِيرِ الجَارِي

عِشْ فِي الخَلاَءِ كَمَا تَعِيشُ طُيُورُهُ

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص310، 311.

الحُرُ يأَبِى العَيْشَ تَحْتَ سِتَـــار

يقول الشاعر في هذه المقطوعة أنك إذا أردت أن تعرف معنى الحرية يوما، ما عليك إلا أن تنظر إلى السماء العاري، وأن تمشي على ضوء القمر،فإن خبا فامش على ضوء الهلال.

وخلاصة القول أن الطبيعة هي الوحيدة التي تضمن لك التحرر من قيود الحياة وأحزانها، فهي واحة لأفراح الروح وسعادة النفس وبهجة الطفولة .

5/ الخمر:

ان الخمر يجعل الشاعر يشعر بنشوة ما بعدها نشوة وكأنه في عالم آخر، عالم لا هموم فيه ولا أحزان، إنه عالم اللذات يقول: [1]

اِخْلِقْ لِنَفْسِكَ بِالمَدَامَة جَنَـــة * * * فِي الأَرْبَع المَهْجُــورَة الأَوْرَاس

الحُبُ فِيهَا بُلْبُل وَخَميلَـــــة * * * وَنَدَى وَأَضْواء عَلَى الأَغْـرَاسِ

للقصر يخلقه خيالك روعـــة * * * كالقصر من جدر ومن أساس

يَا أَيُهَا السَاقِي أَدِرْ كَاسَاتَــهَا * * * كَمَشَاعِلِ الرُهْبَانِ فِي الأَغْلاَسِ

وَأنسَ الهُمُومَ فَلَيْسَ يَسْعَدُ ذَاكِرَ * * * وَاسْقِ النُجُومَ فَإِنَهَا جَـــــلاّس

وفي مقام آخر يدعو أبو ماضي صاحبته «أن تتناول الكأس معه وأن تنعم بليلها وأحلامه ،ويقول لندع الخوف من الواشين ومن الناس، ولنختلس الذات اختلاسا، فهي آمالنا وسعادتنا في الحياة». [2]

---

[1]- ايليا ابو ماضي: المصدر السابق، ص310-311.

[1]- شوقي ضيف: المرجع السابق، ص187.

إن إيليا أبا ماضي يحاول أن يستغل كل شيء جميل في لحظته فهو يعيش كل يوم كأنه آخر يوم في حياته لذلك يحاول أن يستمتع به إلى آخر قطرة يقول: [1]

هَات اَسْقِنِيهَا مِثْلَ عَينِ الدِّيكِ

صَافِية تَنْهَضُ بِالصُعْلُـــــوكِ

حَتَى يَرَى التِّيه عَلَى المُلُوكِ * * * وَلاَ يُبَالِي سَطْوَةَ الأَمِير

بِنْت الدّوالِي ضرَّة الرّضَـــاب

أخت التَّصَافِي زَوْجَة السَّحَاب

أَنْتِ وَإِنْ لاَمَ الوَرَى شَرَابِي * * * فِي الخَالِدِينَ: القَرّ وَالهَجِير

أَشْرَبُهَا بَلْ أَشْرَبُ إلاكسِيرَا

تَخْلُقُ فِي شَارِبِهَا السُّرُورَا

فَقُلْ لِمَنْ يَحْسبُهَا غرُورًا * * * ما العَيْشُ إلَّا سَاعَةَ الغُرُور

يطلب أبو ماضي في هذه الأبيات من الساقي أن يسقيه خمرا صافية تحرره من العالم الذي هو فيه فلا يبالي بعدها بالقوانين والعادات التي طالما كبلته، ثم يواصل نداء الخمرة بأبهى الصفات "أخت التصافي"زوجة السحاب" ويؤكد أنها ستبقى شرابه المفضل مهما كان رأي الناس في ذلك.فهي الوحيدة التي تخلق فيه السرور وتزرع فيه الفرح حيث يقول:

لقد عاش ايليا ابو ماضي حياة سعيدة مليئة بالأمل والسعادة ليس لأنه عاش حياة دون أي مشاكل بل لأنه عرف كيف يعيشها ويستمتع بها حتى في أحلك الظروف.

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص230، 231.

ثانيا: نزعة التشاؤم في ديوان إيليا أبو ماضي:

إن الحياة لا تخلو من الألم؛ ولأن إيليا شاعر غاية في الرقة، فإنك تجده ينزع أحيانا إلى التشاؤم والتبرم من هذه الحياة التي طالما صفعته.

والمطلع على ديوان إيليا أبي ماضي لا شك سيعتريه شعور بالتشاؤم الذي كان ينتاب الشاعر، حيث يظهر ذلك جليا في عدة مظاهر منها:

1/ الخوف من المجهول:

إن إيليا أبا ماضي لا يعلم ما يجيء به القدر غدا ،ولأن من صفات القضاء حسبه العبث.لم يستطع أن يستمتع باللحظة التي يعيشها مهما كانت سعيدة بل كان يشعر بالأرق والخوف مما سيأتي به الغد المجهول . إذ حتى بعد نهاية الحرب لم يستطع إيليا أن يستمتع بحياته؛ لم يستطع أن يستمتع بالصباح والأوراق والأشجار بل لقد ظلت الحرب تتراءى له في كل هذا حيث يقول: [1]

زَالَتْ الحَرْبُ وَوَلّتْ إِنَّمَـــــا * * * لَيْسَ لِلْذعْرِ مِنَ الحَرْبِ انْقِضَاء

إَنْ صَحَوْنَا فَأَحَادِيثُ الوَغَـــى * * * فِي الحِمَى الآهْلِ وَالأَرْضِ العَرَاء

وَإِذَا نِمْنَا تَرَاءَتْ فِي الكُـــرَى * * * صُوَرُ الهَوْلِ وَأَشْبَاحُ الفَنَـــــاء

فَهِي فِي الأَوْرَاقِ حِبْرٌ هَائِـجٌ * * * وَعَلَى "الرَادْيُو" فَحِيحُ الكَـــهْرَبَاء

تَتَقِي فِي يَوْمِنَا شَر غَـــــدٍ * * * وَإِذَا الصُبْحُ انْطَوَى خِفْنَا المـَسَاء

عَجَبًا وَالحَرْبُ بَابُ لِلْـــرّدَى * * * وَطَرِيق لِدَمَارٍ وَعَفَـــــــــاء

كَيْفَ يَهْوَاهَا بَنُو النَّاسِ فَهَلْ * * * كَرِهُوا فِي هَذِهِ الدُنْيَا البَقَـــــاء

إَنْ يَكُنْ عِلْمُ الوَرَى يُشْقِيـهُم * * * يَا إِلَهِي رُدَّ لِلْنَّاسِ الغَبَـــــــاء

وَلْيَجِئ طُوفَانُ نُوحٍ قَبْلَمـــَا * * * تَغْرَقُ الأَرْضُ بِطُوفَانِ الدِّمَـــاء

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص35، 36.

فإيليا يعجب لهذا الإقبال الكبير على الحرب، ويتساءل عما إذا كان الناس قد كرهوا البقاء، فإن كان الأمر كذلك فحبذا لو يجيء طوفان نوح ليغرق الناس بالماء قبل أن يغرقوا بالدماء.

إن مصائب الحياة كثيرة جدا، وان أبشعها هو الموت، هذا الأخير الذي يمزق القلوب والأكباد، ويشعل النيران في الضلوع فتفيض العين بالدموع، رغما عن صاحبها يقول إيليا:[1]

لَوْعَةٌ فِي الضُلُوعِ مثل جَهَنّـــمَ * * * تَرَكَتْ هَذِهِ الضُلُوعَ رَمَـــــادًا

بتُّ مرمَى لِلْدَهْرِ بِي يَتَعَلَـــمْ * * * كَيْفَ يُصْمِي القُلُوبَ وَالأَكْبَـــادَا

كَيْفَ يَنْجُو فُؤَادُهُ أَوْ يَسْلَتـــمْ * * * مَنْ تَمَادَى بِهِ الأَسَى فَتَمَـــادَى

أَنَا لَوْلاَ الشُعُورُ لَم أَتَأَلَّـــمْ * * * لَيْت هَذَا الفُؤَادَ كَانَ جَمَـــادَا

كَيْفَ لاَ أَبْكِي وَفِي العَيْنِ دُمُوعْ * * * كَيْفَ لاَ أَشْكُو وَفِي القَلْبِ صَدُوع

قُلْ فِي النَّاسِ مَنْ صَبَـــرَ * * * مُخْتَـــــــــــــــارا

لَحْظَةٌ، ثُمَ صَارَ ضِحْكِي وَجِيبَا * * * وَنَشِيجَا، وَالنَومُ صَارَ سُـــهَادَا

رَبِّ لمَّا خَلقَتْ هَذِهِ الخَطُوبَـــا * * * لِمْ لَمْ تَخْلُقِ الحَشَا فُـــــولاَدا

كُلَمَا قُلْتُ قَدْ وَجَدْتُ حَبِيبًـــا * * * طَلَعَ المَـــــوْتُ بَيْنَنَا يَتَهَادَى

ففي اللحظة الواحدة يتغير الوضع من حال إلى حال، فتتحول الضحكة إلى بكاء ونحيب، ولهذا راح الشاعر يتمنى لو أن قلبه كان حديدا، فهو لم يعد يحتمل أن يتخطّف الموت أحبائه.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "إن البكاء على الشباب مرير" تكلّم الشاعر عما يشعر به من يفقد قريبا له: إذ لا يرى الحسن، رغم كثرة الجمال، ولا يرى الضوء رغم انتشار النور

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص166.

ولا يشعر بحركة الكون رغم أن الأرض تدور، حيث يقول على لسان فتاة ذهلت لهذا القضاء الذي يفاجئ الناس بالموت دون سابق إنذار. فيقول: [1]

قَالَتْ وَقَدْ سَلَخَ ابْتِسَامَتهَا الأَسَى: * * * صَدَقَ الذِي قَالَ: الحَيَاةُ غُـرُورٌ

أَكَذَا نَمُوتُ وَتَنْقَضِي أَحْلاَمُنَـا * * * فِي لَحْظَة وَإِلَى التُرَابِ نَصِـيرُ؟

وَتَمُوجُ دِيدَانُ الثَرَى فِي أَكْبُـد * * * كَانَتْ تَمُوجُ بِهَا المُنَى وَتَمُـورُ

خَيْر إِذَنْ مِنَا الأَلَى لَمْ يُـولَدُوا * * * وَمِنْ الأَنَامِ جَلَا مِد وَصُـخُورُ

وَمِنَ العُيُونِ مَكَاحِلُ وَمُـرَاوِدُ * * * وَمِنَ الشِفَاه مَسَاحِـقُ وَذُرُور

وَمِنَ القُلُوبِ الخَافِقَات صَبَابَة * * * قَصَب لِوَقْعِ الرِيحِ فِيهِ صَـفِير

فقد كان أحسن للإنسان أن لا يولد مطلقا من أن يولد ليخاف ويترقب الموت في كل لحظة.

2/ لوعة الشوق:

ترك إيليا أبو ماضي وطنه وهو صغير،لذلك ظل الشوق إليه يملأ قلبه، ويكابد جوانحه، ولأن إيليا شاعر حساس فقد كان شوقه إلى لبنان شعورا قاتلا يملأه الأسى والمرارة فها هو ذا يصف لنا الحالة النفسية المزرية التي كان عليها عندما حل يوم الرحيل؛ حيث يقول: [2]

أَزِفَ الرَحِيلُ وَحَانَ أَنْ نَتَفَرَّقَـا

فَإِلَى اللِّقَا يَا صَحْبِي إِلَى اللِّقَـا

إِنْ تَبْكِيَا فَلَقَدْ بَكِيتُ مِنَ الأَسَى

حَتَى لَكِدْتُ بِأَدْمُعِي أَنْ أَغْرَقَـا

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص221.

[2]– إيليا أبو ماضي: المصدر نفسه، ص337.

وَتَسَعَّرَتْ عِنْدَ الوَدَاعِ أَضَـــالِعِي

نَارًا خَشِيت بَحْرِهَا أَنْ أَحْـــــرَقَا

مَا زِلْتُ أَخْشَى البَينَ قَبْلَ وُقُوعِـهِ

حَتَى غَدَوتُ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَفْرَقَـا

يَوْم النّوَى، اللهُ مَا أَقَسىَ النّـــوَى

لَوْلاَ النّوَى مَا أَبْغَضَتْ نَفْسِي البَقَا

دموع تكاد تغرقه ونار تكاد تحرقه، هذا حاله حين حل وقت بعده عن لبنان فما بالك بحاله بعد أيام وشهور وسنين.

ربما نتساءل كيف لم يستطع كل هذا الشوق وكل هذا الحب أن يعيده إلى بلده؟ الإجابة ببساطة جدا وهي أنه لا يستطيع رؤيته على الحال الذي كان عليه، فاختار أن يرى قلبه يحترق على أن لا يرى لبنان يحترق أمامه؛ حيث يقول: [1]

وَطَنٌ أَرَدْنَاهُ عَلَـــــــى حُبِ العُلاَ

فأَبَي سِوَى أَنْ يَسْتَكِينَ إِلَى الشَقَـــا

كَالعَبْدِ يَخْشَى، بَعْدَمَا أَفْنَى الصِّبَي

يَلْهُو بِهِ سَادَاتُـــــــــهُ، أَنْ يَعْتَقَا

أَو كُلَّما جَاءَ الزّمَانُ بِمُـــــصْلِح

فِي أَهْلِهِ قَالُوا: طَـــــغَى وَتَزَنْدَقَا

فَكَأَنّمَا لَمْ يَكْفِهِمْ أَنْ أَخْفـــــــقَا

هَذَا جَزَاءُ ذَوِي النّهَى فِي أَمَـــةٍ

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص340.

أَخَذَ الجُمُودُ عَلَى بَنِيهَا مَوْثِقَـا

وَطَنٌ يَضِيقُ الحُرّ ذَرَعَا عِنْدَهُ

وَتَرَاهُ بِالأَحْرَارِ ذَرَعَا أَضـــيقَا

الجمود والتخلّف وجور الحكام... هي مشاكل كان لبنان يتخبط فيها، فكان كلما ظهر بين الشعب إنسان حر مصلح اتهم بالطغيان والزندقة، لهذا عرف شاعرنا أن لا مكان له في هذا الوطن الذي أصبح يضيق ذرعا بالأحرار.

ونجد هذا الشوق الجارف أيضا في قصيدة بعنوان: "أمة تفنى وأنتم تلعبون" التي يقول فيها: [1]

تَعْتَرِينِي هَزَة كَالْكَهْرَبَـــــاء * * * كُلَمَا حَنَّ مُشُوق لِمُشَـــــــوق

عَلِّمَتْ عَيْنِي السّهَادَ الكَوَكِبَا * * * وَفُؤَادِي عَلَّمَ البَرْق الخَـفُـــوق

مَا دَعَوتُ الدَمْعَ إِلاَ انْسَكَبَا * * * يَا دُمُوعِي أَنْتِ لِي أَوْفى صَدِيق

لَمْ أَرَ كَالْيَأْسِ يُغْرِي بِالبُكَـاءِ

لاَ وَلَا كَالدَمْعِ يُشْفِي المُسْتَهَام

فَاسْتَعِينُوا بِالبُكَا يَا تُعَسَـــاءَ

كُلَمَا اشْتَدّتْ بِكُمْ نَار الهيَـام

لم يكن بيد إيليا من حيلة يطفئ بها نار الهيام و يقتل بها لوعة الشوق إلا الدموع التي لا تخونه أبدا، فما إن يشعر أبو ماضي بسوء حتى تخرج لتستطلع أمره، وتخفف عنه لذلك نصح بها كل من انتابه شعور الشوق القاتل.

ولأن إيليا اليوم بلا وطن فإنه أيضا بلا أمل بلا خلاّن حيث يقول: [2]

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص483.

[2]– إيليا أبو ماضي: المصدر نفسه، ص458.

وَكَانَ لِي أَمَل إِذْ كَانَ لِي وَطَـــنْ * * * فِيهِ لِنَفْسِي لبَانَات وَخِـــــلَان

فَجَرَدتْهُ اللّيَالِي مِنْ مَحَاسِنِـــــــه * * * كَمَا يُعَرّى مِنَ الأَشْجَارِ بُسْتَـــان

فَلَا المَغَانِي التِي أَشْتَاقُ رُؤْيَتَـــهَا * * * تِلْكَ المَغَانِي، وَلاَ السُكَان سُكَـان

لَوْ المُرُوءَة تَدْرِي أَي فَاجِعَـــــة * * * بِالشَامِ، نَاحَ عَلَيْهَا الإِنْسُ وَالجَانُ

كل شيء تغيّر لا المغاني مغاني ولا السكان سكان ولا لبنان لبنان، آه من هذه المصيبة التي حلت بالشام، التي لو درت بها الأرض لناح عليها الإنس والجان.

3/ خيبة الأمل:

كان إيليا أبو ماضي يحب الناس جميعا، ويعمل على أن يتميزوا بأجمل الصفات وأرقى الأخلاق، وذلك بتغذية الجوانب الخيرة التي فيهم من حب وعدل وتعاون ، لكن طبيعة بعض الناس الشريرة أصابت الشاعر بخيبة أمل فوقع"الشاعر فريسة ألم مرير بسبب الجفوة بينه وبين مجتمع لا يقدر ما فيه من نبل الإحسان ونتيجة انهيار آماله الواسعة وتعذر ظفره بالمثال المنشود." [1]

يقول شاعرنا الذي طالما صفع من أقرب الناس إليه في ذلك: [2]

سَئِمَت نَفْسِي الحَيَاةَ مَعَ النَـاسِ * * * وَمَلَّتْ حَتَى مِنَ الأَحْـــبَابِ

وَتَمَشَتْ فِيهَا المَلاَمَة حَتَـــى * * * ضَجِرَتْ مِنْ طَعَامِهِمْ وَالشَرَابَ

وَمِنَ الكَذِبَ لاَبسا بُرْدَة الصِدْقِ * * * وَهَذَا مُسَربِلاً بِالكِـــــــذَاب

وَمِنَ القُبْحِ فِي نِقاب جَمِيـــل * * * وَمِنَ الحُسْن تَحْتَ أَلْفَ نِقَابَ

وَمِنَ العَابِدِينَ كُلَ إِلَـــــــهٍ * * * وَمِنَ الكَافِرِينَ بِالأَرْبَـــــابِ

وَمِنَ الوَاقِفِينَ كَالأَنْصـــــاَب * * * وَمِنَ السَاجِدِينَ لِلأَنْصَـــــابِ

---

[1]– محمد عنيمي هلال: المرجع السابق، ص50.

[2]– المرجع نفسه، ص57.

وَمِنَ الرَاكِبينَ خَيْلَ المَعَالِـــــي * * * وَمِنَ الرّاكِبينَ خَيْلَ التَصَــابِي

وَالأَلَى يَصْمُتُونَ صَمْتَ الأَفَاعِي * * * وَالأُلى يَهْزَجُونَ هَزْجَ الذُبَابِ

صَغِرَتْ حِكْمَةُ الشُيُوخِ لـــــدَيا * * * وَاسْتَخَفَتْ بِكُلِ مَا لِلْشَبَـــــابِ

لقد كره كل أصناف البشر؛ كره القبح تحت النقاب الجميل، كره الحسن تحت ألف نقاب، كره المؤمنين بالآلهة، وكره الكافرين بهم ،كره الراكبين إلى المعالي وكره النازلين إلى الحضيض، كره حكمة الشيوخ، كره لهو الشباب.

فالشاعر إذن مشتت وضائع فهو من جهة كره الناس جميعا ومن جهة أخرى لا يستطيع ان يعيش وحيدا في هذه الحياة التي لم ترأف به، حيث راحت تسرق منه أحباءه ،فهاهو يفقد صديقه الذي خانه وهو في أمس الحاجة إليه: [1]

عُمر صَدِيق كَانَ يَحْلِفُ لِـي * * * إِنْ نُحْتُ نَاحَ، وَإِنْ شَدَوْتُ شَدَا

وَإِذَا مَشيتُ إِلَى المَنُونِ مَشَى * * * وَإِذَا قَعَدْتُ لَحَاجَة قَعَـــــدَا

صَدَّقْتُهُ، فَجَعَلْتُهُ عَضـــدِي * * * وَأَقَمْتُ مِنْ نَفْسِي لَهُ عَضُـــدَا

لَكِنَّنِي لَمَا مَدَدْتُ يَـــــدِي * * * وَأَدَرْتُ طَرَفِي لَمْ أَجِدْ أَحَـــدَا!..

وعده أنهما لن يفترقا أبدا، أقسم له أنه إذا بكى، بكى وإذا ضحك ضحك، يا لها من طعنة موجعة حقا مثلها مثل طعنة الحبيبة الخائنة، يقول: [2]

أَفْلَتَ الأَمْسُ هَارِبَـــا وَ * * * وَغَد؟ لَيْسَ منْ غَـدْ!

صِرْتُ وَحْدِي وَلَيْسَ لِي * * * أَرَبُ فِي التَوَحُّـــــد

يَا نَدَيمِي إِلَى الكُـــؤُو * * * س، وَيَا مُنْشِد اَنْشِـد

زِدْلِي الخَمَرَ كُلَّمَـــــا * * * قُلْتُ: «يَاصَاحِبِي زِدْ»

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدرالسابق، ص188.

[2]– المصدر نفسه: ص155، 156.

لاَ تَقُلْ أَيّ مَوْسِـــــم * * * ذَا، فَذَا يَوم مَوْلـــدِي!

أَنَا، مَا زِلْتُ فِي الحَيَا * * * ةِ، لِي شَبَابِي وَسُؤْدِدي

وَلجينِي وَعَسْـــجَدِي، * * * وَخِلاَلِي و مُحْتَـــــدَي

إِنّمَا تِلْكَ أَخْـــلَفْت * * * قَبْلَ لَيْلينْ مَوْعِـــــدِي

لمْ تَمتْ...لاَ، وَإِنّمَا * * * أَصْبَحَتْ فِي سِوَى يَدَي!

لقد هرب منه الأمس السعيد فلم يعد عنده أمل في الغد الآتي ،كانت تملأ عليه حياته وفجأة أصبح وحيدا لا يواسيه إلا الكأس. وعدته بأنها ستبقى معه حين يشيب ،حين يمرض ،حين يضعف لكنها أخلفت وعدها وهو ما يزال في عمر الزهور، فأي أمل يبقى له في هذه الحياة؟

4/ حزن الطبيعة:

تلبس الطبيعة ثوبا زاهيا في الربيع، فتتسرب السعادة إلى قلب الشاعر، وكما أن الربيع لا يدوم فإن سعادة الشاعر لا تدوم أيضا، وسرعان ما يخلفها حزن وكآبة تعكسها عليه المناظر الطبيعية الحزينة في فصلي الخريف و الشتاء ،حيث يقول: [1]

ذَهَبَ الرّبِيعُ فَفِي الخَمَائِلِ وحْشَة * * * مِثْلَ الكَآبَة مِنْ فَرَاقِكَ فِينَـــا

لَوْ دُمْتَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَيْهِ قُلُوبُنَـــا * * * وَلَئِنْ أَضَعْنَا الوَرْدَ وَالنّسْرِينَا

☆☆☆

يَا أَشْهُرَا مَرَّتْ سِرَاعَا كَالمُنَـــــى * * * لَوْ أَسْتَطِيعُ جَعَلْتُكُنَ سِنِينَا

وَأَمَرْتُ أَنْ يَقِفَ الزَمَانُ عَنْ السّرَى * * * كَيْلاَ نَمُرَّ بِسَاعَة تُبْكِينَـــا

ما إن يمر الربيع حتى تعود الكآبة والدموع إلى صاحبنا لذلك نجده يتمنى لو يستطيع أن يجعل أشهر الربيع سنينا لكي لا يمر بساعة تبكيه

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص 533، 534.

ونظرا لحساسية ورقة إيليا فإنك تجده يكلم الأزهار ويشعر بمأساتها[1]

أَيَا زَهْرَةَ الْوَادِي الكَئِيبَة إِنَنِـــــي * * * حَزِينُ لَمَا صِرْتِ إِلَيْهِ كَئِيبَـــــا

وَأَكْثَرَ خَوْفِي أَنْ تَظُنِي بن الوَرَى * * * سَوَاءٌ، وَهُمْ مِثْلَ النَبَاتِ ضَـرُوب

وَأَعْظَم حُزْنِي أَنْ خَطَبَك بَـعْدَهُ * * * مَصَائِبُ شَتَّى لَمْ تَقَعْ وَخَطُـوب

سَيَطْرَحُك الإِنْسَانُ خَـــارِجَ دَارِهِ * * * إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيك العَشِيَةُ طِيـــب

فَتُمْسِينَ لِلْأَقْدَارِ فِيك مَـــلاَعَب * * * وَفِي صَفْحَتَيْكَ لِلْنِعَالِ ضَـرُوب

إنه يشعر بحزن الزهرة التي سيطرحها الإنسان جانبا بل وسيدوسها بنعاله حينما ينتهي طيبها، كما أنه يخاف أن تظن به السوء باعتباره إنسان لأنه إنسان ليس ككل الناس؛ إذ أنه يتألم لحيرة فراشة في الحقل. وفي ذلك يقول إيليا: [2]

لَوْ كَانَ لِي غَيْر قَلْبِي عِنْدَ مِرْآك * * * لَمَا أَضَافَ إِلَى بَلْوَاه بَلْـــــواك

فِيمَ ارْتِجَاجُك هَلْ فِي الجَو زِلْزِلَة * * * أَمْ أَنْتِ هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ فـــــتّاك؟

وَكَمْ تَدُورِينَ حَوْلَ البَيْتِ حَائِـــرَة * * * بِنْتُ الرُبَي لَيْسَ مَأْوَى النّاسِ مَـأْوَاكِ

ليتساءل في البيت الأخير عن سرّ عدم إحساس الناس بمعاناتها وحيرتها التي كثيرا ما يشعر بها العشاق فحريّ بهم أن يفهموا نجواها حيث يقول: [3]

وَقَصّ شَكَواكَ قَلْبِي قِصَة عَجَبَا * * * مِنْ قَبْلُ أَنْ سَمِعْتُ أُذُنَايْ شَكْوَاكَ

أَلَيْسَ فِيكَ مِنَ العُشَاقِ حَيْرَتَهُمْ؟ * * * فَكَيْفَ لاَ يَفْهَمْ العُشَاقُ نَجْـــوَاكَ؟

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص 44، 45.

[2]– المصدر نفسه، ص 337.

[3]– المصدر نفسه، ص 337.

5/ الحيرة والتساؤل:

يتميز ايليا ابو ماضي بكثرة التأمل لذلك تجد انه لا ينفك يحاول فهم مختلف ظواهر الكون، فبعد أن كان إنسانا عاديا، يذهب إلى الغاب فلا يهتم إلا بما يأكله ويشربه ويستمع بالمناظر الجميلة وأصوات الطيور المغرّدة، ولكن منذ أن بدأ يتأمل ظواهرها ويحاول فهمها لم يهدأ له بال، ولم ينفك يتساءل عن أسرارها، محاولا الوصول إلى اليقين، لكن هيهات أن يكون له ذلك، بل لقد غرقت سفينته في بحر الشقاء يقول مخاطبا الغاب: [1]

رُوحِي التِي بِالأَمْسِ كَانَتْ تَرْتَـــع * * * فِي الغَابِ مِثْلَ الظَّبِيَةُ القَمْرَاءُ

تَقتات بِالثَمَرِ الجَنِي فَتَشْبَـــــع * * * وَيَبل غِلَّتَهَا رَشَاشُ المَـــــــاءِ

نَظَرْتُ إِلَيْكِ فَأَصْبَحَتْ لاَ تَقْنَـــعْ * * * بِالمَاءِ وَالأَوْفِيَاءِ فِي الـــــغَبْرَاءِ

تَصْغِي وَتنْصتْ، وَالحَمَامَة تَسْجَعْ * * * إِصْغَاؤهَـــــا لَكَ لَيْسَ لِلْورْقَـاءِ

نَادَيْتُها، فَلَهَا إِلَيْك تَطْـــــــلُع * * * هَذَا التَطَلُعُ كَانَ أَصْل شَقَائِـــي

جَنَّحَتْنِي كِيمَا أَطِير فَلَمْ أَطِـــرْ * * * هَيْهَاتَ إِنّكَ قَدْ طَوَيْتَ سَمَائِـــي

☆☆☆

قَدْ كَانَ يُسِبينِي الجَمَالُ الرَائِـــعُ * * * حَتَى لَمَحْتُكَ فَهُوَ لاَ يُسْبِينِـي

عَصَفَتْ بِصَدْرِي لِلْيَقِينِ زَوَابِـــع * * * ثلث عَرُوش تَوَهَّمِي وَظُنُونِـي

فَأَنَا عَلَى مَا ضَاعَ مِنِي جَـــازِعُ * * * إِنَّ الذِي قَدْ ضَاعَ حَدْ ثَمِيـن

لَوْلاَكَ مَا مَاتَ الخَيَالُ اليَافِـــعُ * * * أَفَتَعْجَبِينَ إِذَا كَرِهْتُ يَقِينِـــي

هَذَا صَنِيعُكَ بِي، فَمَا أَنَا صَانِعٌ؟ * * * قَدْ شَاءَ بَحْرُكَ أَنْ تَضِلَ سَفِينَي

---

[1]– إيليا أبو ماضي: المصدرالسابق، ص16، 17.

وفي قصيدته المشهورة "طلاسم" يصور الشاعر حيرته أمام الكون وألغازه حيث تكشف عن قصوره في فهم حقائق الأشياء وكنهها يقول فيها: [1]

جِئْت لاَ أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ، وِلَكِنِي أَتَيْتُ

وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قَدَامَي طَرِيقًا فَمَشـيتُ

وَسَأَبْقَى مَاشِيًا إِنْ شِئْتَ هَذَا أَمْ أَبَيْتُ

كَيْفَ جِئْتَ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتَ طَرِيقِـي؟

لَسْتُ أَدْرِي!

فهو يعلن منذ بداية القصيدة «جهله بمصدر وجوده بل بمصدر الوجود كله إنه لا يعرف إلا حياته وهي حياة لم يكن له فيها رأي ولا اختيار ولا إرادة».[2] حيث سيظل ماشيا في الدّرب سواء أأراد هذا أم لم يرده ثم يقول: [3]

أَجَدِيدْ أَمْ قَدِيم أَنَا فِي هَذَا الوُجُـــــودِ؟

هَلْ أَنَا حُرٌ طَلِيقْ أَمْ أَسِيرْ فِي قُيُــودْ

هَلْ أَنَا قَائِد نَفْسِي فِي حَيَاتِي أَمْ مقُودْ

أَتَـمَنَى أَنَنِي أَدْرِي وَلَـكـــــــــــنْ

لَسْتُ أَدْرِي!

يتساءل أهو جديد أم قديم في هذا الوجود، هل هو حر وكل ما يقوم به من اختياره وبإرادته، أم أنه مقيد ومجرد عبد مأمور لقائد خفي يقوده، ثم يقول: [3]

---

[1]– ايليا ابو ماضي: المصدر السابق، ص89.

[2]– شوقي ضيف: المرجع السابق، ص172.

[3]– المرجع نفسه، ص89، 90.

[3] إيليا أبو ماضي: المصدر السابق، ص 90.

وَطَرِيقِي مَا طَرِيقِي؟ أَطَوِيلْ أَمْ قَصِيرْ؟

هَلْ أَنَا أَصْعَدْ أَمْ أَهْبِطْ فِيهِ وَأَغَـــــوَرْ

أَأَنَا السَائِرَ فِي الدَرْبِ أَمْ الدّرْبَ يَسِيرْ

أَمْ كِلاَنَا وَاقِفٌ وَالدَهْرُ يَجْـــــــرِي؟

لَسْتُ أَدْرِي!

يتساءل عن طريقه عن مساره من يحدده؟ ثم أهو طويل أم قصير؟

أهو يصعد فيه ويرقى إلى العلياء أم انه يهبط إلى العدم؟ أهو الذي يسير أم انه واقف لا يتحرك بينما الدرب يسير؟ أم أن الكل واقف والدهر يجري؟.

ليختم مطولته ب لست أدري" هذه الجملة التي تعبر عما يخيم على نفسه من ظلام وغموض أيّما تعبير، إنه لا يجد عنده أي بارقة أمل في إيجاد جواب لألغاز الوجود.

إن نزعة التفاؤل كنزعة التشاؤم منتشرة بكثرة في ديوان إيليا أبو ماضي، لدرجة تثير انتباه القارئ وانفعاله ،فما إن تقرأ قصيدة من قصائد التفاؤل حتى تنتابك سعادة و نشوة وأمل، وما إن تقرأ قصيدة من قصائد التشاؤم حتى تعتريك موجة من الألم و الحزن.

خاتمة

خاتمة:

قبل أن نضع القلم إيذانا منا بانتهاء هذه الدراسة، استحسنا أن ندوّن ما توصلنا إليه من نتائج وهي:

1-الشاعر إيليا أبو ماضي شاعر لبناني ترك إبداعات فنية وشعرية، خلدت اسمه وعكست لنا شخصيته المتفاعلة مع المجتمع والممتزجة بالحس الإنساني المرهف.

2- إيليا أبو ماضي متشبع بمبادئ الرومانسية بما فيها الخروج عن مألوف العصور القديمة والنقمة على الأوضاع الفاسدة، وامتيازه بالذاتية والتعبير عما يجري في جوانحه من صراع عاطفي عنيف.

3- تميز شعر إيليا أبي ماضي بمجموعة من الصفات أهمها: الطابع القصصي، والصيغة الفلسفية، وشيوع السخرية والمفاجأة والتشويق. ولقد حققت له شهرة واسعة

4- الأدب المهجري أدب حديث النشأة، كتبه الأدباء الذين هاجروا إلى القارة الأمريكية متأثرين بالمذهب الرومانسي.

5- تميز الشعر المهجري بمجموعة من الخصائص أهمها: الثورة على القديم والنزعة الإنسانية والشعور بالغربة والحنين، والتغني بالطبيعة.

6- عاش إيليا أبو ماضي الحياة بحلوها ومرها لذلك تلون شعره بالتفاؤل حينا وبالتشاؤم حينا آخر.

7- النزعة التفاؤلية والتشاؤمية منتشرة بكثرة في الديوان، وما ساهم في انتشار النزعة الأولى هو رضاه بالقضاء والقدر، والحب الذي زرع فيها المشاعر النبيلة، وعمر الشباب الذي كان يشعر فيه إيليا أنه مليك زمانه، أما ما غذى النزعة الثانية فهو الخوف من المجهول ولوعة الشوق إلى لبنان وكذا خيبة أمله في الناس إضافة الى الطبيعة الحزينة والتفاؤل الذي ملأ قلبه حيرة .

وفي الأخير لا يسعني إلا أن اشكر الله على نعمة التمام، وأتفضل بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل واسيني بن عبد الله. والحمد لله رب العامين.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

المصادر:

1. إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبو ماضي، دار الهلال، بيروت، 2013.

المعاجم:

2. الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، باب الشّين والميم و(و ا ي ء) معهما، ط1،دت، ج6.

3. الزمخشري: أساس البلاغة، تح: شوقي الحصري، عزيز نعيم، مكتبة لبنان، ط1، دت.

4. الأزهري: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، دت.

الكتب:

5. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.دط، دت.

6. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2001،2 مج 1.

7. إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط2، 1983.

8. بدر محمد الأنصاري: التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، ط1، 1998.

9. ثورت عكاشة: روائع جبران خليل جبران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1990 .

10. جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة العربية، دار صادر، بيروت، ط1، 2002.

11. جبران خليل جبران: دمعة و ابتسامة، دار العرب، القاهرة، د ط، د س.

12. حسين علي محمد: الأدب العربي الحديث بين الرؤية والتشكيل، مكتبة الرشيد، ط6، 2006.

13. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الجيل، بيروت لبنان، ط2، 1983.

14. سلمى خضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة ،بيت النهضة، بيروت لبنان،ط2007،2.

15. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تح :محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية .

16. شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر،دار الهدى،عين مليلة، دط، 2004.

17. عباس بن يحيا: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة ،عين مليلة، دط، 2004.

18. عبد الرحمان شكري: ديوان عبد الرحمان شكري، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط، 2012.

19. عبد الله عبد الحي موسى: المدخل إلى علم النفس، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ط3، 1988.

20. عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط3، 1988.

21. فوزي المعلوف: ديوان فوزي المعلوف، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط.

22. فيصل عيسى البابي الحلبي/ مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،2001.

23. محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجبل ط1 1992ج1.

24. محمد محمود: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، دار الشروق، جدة،دط، دت.

25. ميخائيل نعيمة: جبران خليل جبران، نوفل، بيروت لبنان، ط13، 2009.

26. .....: سبعون، دار نوفل، بيروت لبنان، ط7، 1991.

27. .....: همس الجفون، نوفل، بيروت لبنان، ط6، 2004.

28. نازك الملائكة : ديوان نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، دط ،1988.

29. نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، دار نوبار، القاهرة، ط1، 2003.

30. نظمي عبد البديع محمد: ادب المهجر بين اصالة الشرق و فكر الغرب، دار الفكر العربي، دط، دت.

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

شكر و عرفان

قائمة المحتويات

مقدمة.....أ-ب

مدخل: إيليا أبو ماضي الشاعر المهجري

أولا: ترجمة موجزة للشاعر إيليا أبو ماضي.....05

1. مولده.....05

2. حياته.....06

3. دواوينه.....06

4. مميزات شعره.....07

أ/ الأسلوب القصصي.....07

ب / الصيغة الفلسفية.....08

ج/ شيوع السخرية.....08

د/المفاجأة والتشويق.....09

ثانيا. أدب المهجر.....09

1/ ماهية الأدب المهجري.....09

2/ أعلامه.....10

3/ مدارسه.....10

أ/-الرابطة القلمية.....10

ب/العصبة الأندلسية.....11
3/ خصائص الشعر المهجري.....11
أ/-الثورة على القديم.....12
ب/النزعة الإنسانية.....12
ج/ الغربة.....13
د/ الحنين.....13
ه/ الطبيعة.....14

الفصل الأول: التفاؤل والتشاؤم في الأدب العربي الحديث

أولا:
مفهومهما.....17
1- التعريف اللغوي للتفاؤل والتشاؤم.....17
أ/ التفاؤل.....17
ب. التشاؤم.....18
2- التعريف الفلسفي للتفاؤل والتشاؤم.....19
ا/. التفاؤل.....20
ب/ التشاؤم.....20
3/ التعريف النفسي للتفاؤل والتشاؤم.....21
أ. التفاؤل.....21
ب. التشاؤم.....22
ثانيا: عواملهما.....23
1-العوامل الأولية 23

أ-الوراثة.....23
ب-العوامل الحيوية.....23
ت-الجهاز العصبي.....23
ث-البيئة.....23
العوامل الثانوية 27
ثالثا: مظاهر التفاؤل والتشاؤم في الشعر العربي الحديث.....28
1- مظاهر التفاؤل في الشعر العربي الحديث.....29
أ- نازك الملائكة.....29
ب- عبد الرحمان شكري.....30
ت- أبو القاسم الشابي.....32
د- فوزي المعلوف.....33
2- مظاهر التشاؤم في الشعر العربي الحديث.....34
أ- نازك الملائكة.....35
ب-عبد الرحمن شكري.....36
ت- أبو القاسم الشابي.....37
د-فوزي المعلوف.....39
الفصل الثاني: نزعة التفاؤل و التشاؤم في ديوان إيليا أبو ماضي
أولا: نزعة التفاؤل في الديوان.....42
1/ الرضى بالقضاء و القدر.....42

2/ الحب.....46

3. الشباب.....50

4/ الطبيعة.....52

5/ الخمر.....55

ثانيا: نزعة التشاؤم في ديوان إيليا أبو ماضي.....57

1/ الخوف من المجهول.....57

2/ لوعة الشوق.....59

3/ خيبة الأمل.....62

4/ حزن الطبيعة.....64

5/ الحيرة والتساؤل.....66

خاتمة.....70

قائمة المصادر و المراجع

تم بحمد الله

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة نزعتي التفاؤل والتشاؤم عند إيليا أبو ماضي في ديوان إيليا أبو ماضي التي كانت منتشرة بكثرة في ديوانه لدرجة تثير انتباه القارئ وانفعاله فينتابه شعورا بالسعادة حين يقرأ قصيدة من قصائد التفاؤل، كما تعتريه مشاعر الحزن والأسى عندما يقرأ قصيدة من قصائد التشاؤم. وخلص البحث إلى أن إيليا أبا ماضييملك إحساسا مرهفا وتفكيرا عميقا أثّر في شعره الذي جاء مرآة عاكسة لما يختلج في نفسه.

الكلمات المفتاحية:

التفاؤل، التشاؤم،**إيليا أبو ماضي.**

Résumé :

La recherche vise à étudier la tendance de l’optimisme et du pessimisme chez **« Ilia Abou Madhi** » qui était très répondue dans son Diwan au point d’attirer l’attention du lecteur et sa réaction ; un sentiment de joie l’envahit lorsqu’il lit une poésie d’optimisme comme il sera plongé dans les sentiments de chagrin et de peine quand il lit une poésie depessimisme. La recherche fût conclue par dire que Ilia Abou Madhi possède un fin sentiment et une profonde réflexion ayant influé sur son poème qui est un miroir réfléchissant de ce qui est en lui.

Mots clés :

L’optimisme, le pessimisme, Ilia Abou Madhi .